جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

مقامات التشبيه بالأسد عند الشريف الرضي

دكتورة
هدى أحمد محمد زين
مدرس البلاغة والنقد فى كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات فى القاهرة

العدد الخامس عشر
للعام ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م
الجزء السادس
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٦٩٤٠ / 2011

المقدمة

الحمد لله الذي شرف نوع الإنسان، بالأصغرين: القلب واللسان وفضله على سائر الحيوان بنعمتي المنطق والبيان، ورجحه بالعقل الذي وزن به قضايا القياس في أحسن ميزان، فأقام على وحدانيته البرهان، أحمده حمدًا كثيرًا " وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد

منذ قامت العبقرية في الدنيا سعى الفنان إلى الطبيعة في حب وإعجاب ونشوة وذهول، فسكر بجمالها، وانتشى بمحاسنها، واتخذها مثلا يحتذيه، يصوره ويقلده بالأصوات أو بالألوان، فكان الرسام والنحات والموسيقى والشاعر.

وكل منهم عمد إلى الأرض والسماء، والحيوان والنبات، والإنسان والماء يرسمها بخياله ويصفها بفنه... والشاعر العربي فنان مبدع سار في ركب هؤلاء العباقرة الإنسانين فرسم ما رأى وصور ما شاهد، ووصف ما أحس"(١).

لقد نظم العرب -حسب اعتقادي- من الأشعار في الحيوان أكثر مما نظمه أي شعب آخر. فقلما تجد قصيدة مهما كان موضوعها، وليس للحيوان ذكر فيها... لأن هذا من العبادات المهمة في الإسلام التفكر في مخلوقات الله - سبحانه وتعالى - والبحث قدر الإمكان عن خصائص تلك المخلوقات ليكون الإقرار بالعبودية لله الواحد الأحد عن دراية ويقين صادق عملاً بقوله عزت قدرته: "(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [آل عمران:١٩١].

فعالم الحيوان عالم رحيب جدًا كرحابة الأكوان العلوية، ومن يسرح الطريق في خصائص الحيوانات وتكوينها، وتصوّر مراحل حياتها وخدمتها الجلية لبني

---

(١) الوصف ألفه لجنة من أدباء أقطار العربية ص/٥ط، دار المعارف.

البشر، وكيف أنها تتزوج وتتناسل، وتعتني بأولادها، وتتفاهم فيما بينها وهي عجماء، وتكسب رزقها، وتميز الحيوان الذي يناصبها العداء من الذي لا ضرر منه.. فمن الذي يتدبر هذه الأمور ولا يقف عندها مبهوتًا أمام عظمة البارئ المصور جلت قدرته؟

ومن المعروف أن الشريف الرضي يُعد من فحول الشعراء العباسيين، بل أعظم شاعر عرفته العربية كما شهد بذلك الدكتور زكي مبارك(٢). وشهد له الدكتور عبد المسيح محفوظ بأنه (بود لير العرب) وعده من مؤسسي الرمزية العربية(٣).

ومع ذلك "لم يحظ الشريف الرضي من نقدة الشعر العربي بالنصيب الأوفى الذي حازه فحول آخرون كأبي تمام والمتنبي والبحتري والمعري،..... فلم يتناول نقد شعره من القدماء إلا أخوة المرتضى(٤) وأبومنصور الثعالبي(٥)، ومن المحدثين الدكتور زكي مبارك، والدكتور إحسان عباس، وأديب التقى وغيرهم"(٦).

"وكانت نفس الرضي تنازعه إلى أمور عظيمة يجيش بها خاطره حيث يقول(٧):

---

(٢) عبقرية الشريف الرضي د/ زكي مبارك ١٥/١. ط١ مكتبة الثقافة الدينية.
(٣) الشريف حياته ودراسة شعره د/ عبد الفتاح الحلو جـ٢ ص/ ٢٤٠. ط هجر للطباعة والنشر والتوزيع للإعلان ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
(٤) الشريف المرتضى هو علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم، أبو القاسم من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب، نقيب الطالبين، وأحمد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر ولد سنة ٣٥٥ هـ وتوفي ٤٣٦ هـ الأعلام ٢٧٨/٤.
(٥) الثعالبي هو: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي من أئمة اللغة والأدب من أهل نيسابور من كتبه يتيمة الدهر، سحر البلاغة، لطائف المعارف ولد ٣٥٠ هـ وتوفي ٤٢٩هـ الأعلام ١٦٣/٤.
(٦) المرجع السابق، جـ٢/ ٢٠٩ "بتصرف".
(٧) الديوان ٣٣٦/١.

مـــا أنـــا للعليـــاءِ إن لم يكـــنْ ∴ مِـــن ولـــدي مـــا كـــان مـــن والـــدي
ولا مشـــتْ بـــي الخيـــلُ إن لم أطـــأ ∴ ســـريرَ هـــذا الأغلـــبِ الماجـــدِ

كما وجد نفسه أهلا للخلافة[٨]"

وقوله[٩]:

أرى نفســـي تتـــوقُ إلى النجـــومِ ∴ ســـأحملُها علـــى الخطـــرِ العظـــيمِ

وقوله[١٠]:

إن الخلافـــة مـــذ نهضـــت بعبئهـــا ∴ هـــدأ الضـــميرُ بهـــا، ونـــام النـــوَّمُ
قـــد كـــان منبُرهـــا تضـــاءل خيفـــةً ∴ واســـتلَّ منـــه الهزبـــريُّ الأعظـــم[١١]

كما كان الشريف "تغلب عليه صورة بطل نلمحه في أكثر شعره متوثبًا ثائرًا يستقل ظهور الجياد، ويخوض الغمرات، ويستصرخ الشعب الملثمين، وكأنه في حرب ضروس، حتى يمكننا القول إن قصائده في الكثير من أغراض المدح والرثاء والفخر والشكوى، وحتى الغزل لا تكاد تفارقه روح الحماسي الذي يبثه الشاعر في تضاعيف قصائده، ولا يستطيع بشكل عفوي كلما وجد إلى ذلك سبيلا"[١٢].

فكان من الطبيعي أن يكثر الشريف الرضي من ذكر الأسد في ديوانه، وكانت النماذج كثيرة لدرجة أنها لا تكاد تعد ولا تحصى، ومن الملاحظ أنه لم يذكره في

---

(٨) البلاغة القرآنية والنبوية في آثار الشريفين د/ محمد حسن شرشر/ ١٩ط١، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٦م.
(٩) الديوان ٢/ ٣٦٠.
(١٠) الديوان ٣٠٣/٢.
(١١) الهزبري: نسبة إلى الهزبر، الأسد هامش الديوان ٣٠٣/٢، اللسان مادة (هزبر).
(١٢) الحماسة في شعر الشريف الرضي د/ محمد جميل شلش/ ١٣٩. منشورات وزارة الإعلام الجمهورية العراقية ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

قصيدة مستقلة، بل ذكره ضمن أغراض شعرية بحيث "يكون الأول مدخلاً إليه أو وسيلة لتحقيقه وإظهاره"(١٣).

كما أن الأسد "عنوان الشجاعة التي يكبرها الإنسان"(١٤).

وقد كان الشريف الرضي يستعين بالتشبيه بالأسد، لما للتشبيه "من روعة وجمال، وموقع حسن في البلاغة، وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحًا، ويكسبها جمالاً وفضلاً، ويكسوها شرفًا ونبلاً، فهو فن واسع النطاق، فسيح الخطو، ممتد الحواشي، متشعب الأطراف متوعر المسلك"(١٥).

ولذلك جعله صاحب الطراز "واد من أدوية البلاغة(١٦)، وبحر البلاغة وأبو عذرتها وسرها، ولبابها، وإنسان مقلتها"(١٧).

ويأتي التشبيه بجودته بمدى تآلفه وانسجامه مع سائر التراكيب؛ لأنه يعد(كالمَلح في الوجه، يتخذ قيمته بالنسبة لتآلفه وانسجامه مع سائر الملامح"(١٨).

ويحقق التشبيه بالأسد الاختصار والإيجاز.. وكان الهدف منه زيادة التقرير والإيضاح"(١٩).

---

(١٣) وصف الحيوان في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين د. حازم عبد الله خضر/ ١٩٧ ط دار الشئون الثقافية العامة بغداد، ١٩٨٧م.

(١٤) فن التشبيه د/ علي الجندي ٣٣٢/٢ ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٣٨٦هـ-١٩٩٦م.

(١٥) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع السيد أحمد الهاشمي إشراف صدقي محمد جميل، ص٣١٤، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع١٤٠٣هـ ٢٠٠٠م.

(١٦) الطراز للعلوي ٢٦٠/١ دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

(١٧) المرجع السابق، ص٣٢٦.

(١٨) فن الوصف وتطوره في الشعر العربي د. إيليا الحاوي ١٣٠، ط٢ منشورات الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

وكان الشريف يرى أن بينه وبين الأسد صفات مشتركة مثل: قوة البطش والنصر على الأعداء والجرأة، وشدة البأس، ورباطة الجأش والعزة والكبرياء، والهيبة .. وغيرها من المعاني المختلفة.

ولكثرة أسماء الأسد هذا بدوره أمد الرضى بمقدرة فنية للتنويع في استخدام تشبيهاته المختلفة، واختيار المناسب منها للحالة التي يريد التحدث فيها، ويختار لكل ما يناسبه ويوافقه من الأسماء.

ويتخذه رمزًا لانفعالاته المختلفة "حين يتخذ من هذا الحيوان الذي جعله مشبها به بطلاً لما يدور عليه هذا التشبيه من معان وصور.... ولو حذفنا أداة التشبيه لوجدنا أنفسنا أمام قضية محبوكة الأطراف مستغنية بنفسها"(٢٠).

فأشار عن طريق التشبيه بالأسد إلى "حدة أنيابه، وعينيه، وزئيره، وكفه، وأظفاره، وذيله"(٢١).

وقد ألم الشريف الرضى بكل صغيرة وكبيرة تخص التشبيه من خلال التشبيه بالأسد، فكانت هذه التشبيهات متنوعة ما بين المفرد، والمركب، والمتعدد، والحسي والعقلي، وغيرها.

وإن كانت هذه الأنواع تتفاوت ما بين القلة والكثرة، وقد ظهر كلٌّ في موضعه بدقة، لأن شاعرنا بعقليته الواسعة لاحظ السياق الخاص بكل تشبيه، فالبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

---

(١٩) البلاغة فنونها وأفنانها لحسن فضل عباس، ص٨٦ / بتصرف، ط٣ دار الفرقان للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ١٤١٩هـ، ١٩٩٥م.

(٢٠) الرمزية في الأدب العربي د/ درويش الجندي ١٦٧، ١٦٨ "بتصرف" ط١ مكتبة نهضة مصر الفجالة.

(٢١) وصف الحيوان في العصر الأندلسي/ ٧٠، ٧٣.

فالمجال الذي يحتاج إلى الإفراد كان يستخدم فيه، والمجال الـذي يحتـاج المركب كان يستخدم فيه، والمجال الذي يريد أن يجمع بين عدة تشـبيهات كـان يأتي بالتشبيه المتعدد وهكذا...

وقد أشاد د/ جاسم بالتشبيه عموماً عند الشريف وشهد له بالصفاء والنقاء، لأنها مرتبطة بنقاء وصفاء صاحبها حيث يقول" ... لم تكن مجرد صور التقاطيـة من الواقع، بل إن الشريف قدم تشبيهات باهرة تحس فيهـا بنقـاوة إشـعاعات الشمس الفجرية وهي تعانق الأرض التي أنعمت على الشمس بفضيلة الشـروق والغروب .. تتصل إذن نقاوة التشبيه ... بنقاوة القائل وصفاء انتساباته إلى نفسه وإلى مجتمعه وإلى قضيته"(٢٢).

أما منهج البحث فقد قام على المنهج التذوقي الذي استطعت بـه أن أميـز صور التشبيه بالأسد عند الشريف ومعانيه وصوره.

أما الخطة فقد تكونت من مقدمة وتمهيد وفصلين، ثم خاتمة، ثم تذييل لأهم الفهارس الفنية.

أما المقدمة فقد ذكرت فيها أهمية الموضوع ومنهج السير فيها...

التمهيد: تناولت فيه أولاً: نبذة مختصرة عن الشريف الرضـي.. نسـبه – حياته ونشأته – شعره وآراء النقاد فيه – آثاره – وفاته.

الفصل الأول: مقامات التشبيه بالأسد في الأغراض الشعرية.

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: خصائص التشبيه بالأسد في مقام المدح والتهنئة والاعتذار.

المبحث الثاني: خصائص التشبيه بالأسد في مقام الرثاء.

المبحث الثالث: خصائص التشبيه بالأسد في مقام الفخر والشكوى.

---

(٢٢) الاغتراب في شعر الشريف الرضي د/ عزيز السيد جاسـم/ ص٧٠ ط دار الأندلس – بيروت – لبنان.

المبحث الرابع: خصائص التشبيه بالأسد في مقام التهديد والذم والهجاء.

الفصل الثاني: خصائص الشبيه بالأسد في ديوان الشريف الرضي ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: موازنة بين الشريف الرضي وأبي تمام في التشبيه بالأسد.

المبحث الثاني: خصائص التشبيه بالأسد في ديوان الشريف الرضي.

الخاتمة: وفيها أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، ثم ذيلت هذه الدراسة بفهارس مختلفة، كفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وبعد فأنا لم أستقص كل النماذج والتشبيهات الواردة في الأسد، وذلك لكثرة الشواهد في الديوان، ولأن ذلك مما يطول به المقام، وإنما حاولت بقدر الإمكان أن أقتصر على بعض النماذج التي توضح وتبين لنا طريقة الشريف ومنهجه في التشبيه بالأسد في شعره الحماسي، "ويدلل هذا على حسن الابتكار، وقوة التخيل والتصور"(٢٣).

وأخيرا أتمنى من الله أن يتقبل هذا العمل وأن يكون خالصا لوجه الله تعالى..

والله يهدي إلى سواء السبيل فهو حسبي نعم المولى ونعم النصير.

---

(٢٣) الحماسة/ ص٣٣٨ "بتصرف".

التمهيد
نبذة مختصرة عن الشريف الرضي

نسبه: هو محمد بن الحسين بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي الحسين بن علي بن أبي طالب، أبوالحسن العلوي نقيب الطالبين ببغداد[٢٤] .

لقبه: كان يلقب الرضي ذا الحسبين[٢٥] وبـ(الطاهر ذي المناقب). ولقبه بهاء الدولة بـ(الشريف الأجل) وكان يدعى "الشريف الجليل"[٢٦].

حياته ونشأته:

"ولد ببغداد في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة في كنف والده الجليل أفضل نشأة وأحسنها، تلقى علوم اللغة والدين على جماعة من خيرة علماء العصر منهم

---

(٢٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٧١٥/٢ الناشر دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان، وينظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ١٨٣/٣. المكتبة التجارية للطباعة والنشر بيروت، لبنان، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور الثعالبي النيسابوري تحقيق مفيد محمد قميحة ٣٣٢/٢، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط ١-١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م. البلاغة القرآنية والنبوية في آثار الشريفين د/ محمد حسن شرشر/ ١٥ مكتبة زهراء الشرق. ديوان الشريف الرضي د/يوسف شكري فرحات ٥/١، ط دار الجيل –بيروت، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، ديوان الشريف الرضي دار صادر –بيروت، ص٥. الشريف الرضي د/ محمد عبد الغني حسن ص٣٣٣، ٣٣٤، ط٣، ط دار المعارف.
بغداد أم الدنيا وسيدة البلاد وتسمى مدينة السلام أيضا... طولها خمس وسبعون درجة وعرضها أربع وثلاثون درجة داخلة في الإقليم الرابع، معجم البلدان للإمام شهاب الدين ياقوت الحموي ٢٣٠/٢، ط١، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٢٤هـ- ١٩٠٦م.

(٢٥) ينظر: تاريخ بغداد ٣٤٦/٢، في الأدب العباسي/ محمد مهدي البصير /٤٠٧ ط٣ مطبعة النعمان النجف الأشرف.

(٢٦) تلخيص البيان في مجازات القرآن حققه، محمد عبد الغني حسن/ ٣٣ ط دار الأضواء للطباعة والنشر ١٤٠٦هـ - ١٩٩٦م.

ابن السيرفي[٢٧] النحوي المشهور، وأبوالفتح عثمان بن جني[٢٨] الذي صار فيما بعد من المعجبين بفضله وأدبه ومحمد بن النعمان كبير الإمامية[٢٩]... وأجاد في نظم الشعر قبل بلوغ العاشرة، وتدلنا على ذلك قصيدة رائعة فيها الإقصاء والده عن أعماله ...قال[٣٠]:

نُصافي المعالي والزمانُ معاندُ ∴ ونهض بالآمال والجِدُّ قاعدُ"[٣١]

"نبغ كذلك في بلوغ المناصب السامية والمراكز الرسمية الممتازة في وقت مبكر جدًا، فقد ولي نقابة الطالبين في حياة والده الطاهر وأخيه المرتضى ولم يتجاوز الحادية والعشرين...

ويظهر أن هذا النجاح المبكر حدا بصاحبنا إلى أن يمعن في الجري وراء أمانيه العالية، وآماله الواسعة بعيدة المدى، فأخذ يفكر في الاستيلاء على الخلافة، ورأي أبو إسحاق الصابي[٣٢] ...

---

(٢٧) السيرفي: هو يوسف بن الحسن بن عبد الله المرزباني، أبو محمد السيرافي أديب لغوي، من أهل بغداد، صنف شرح أبيات سيبويه، وشرح أبيات إصلاح المنطق، ولد سنة ٣٣٠ هـ وتوفي ٣٨٥هـ الأعلام للزركلي ٢٩٨/٩. ط دار العلم للملايين ١٩٩٥م.

(٢٨) ابن جني هو: عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح من أئمة الأدب والنحو، وله شعر، ولد بالموصل ببغداد، له تصانيف كثيرة منها الخصائص، وسر صناعة الإعراب وتوفي ٣٩٢ الأعلام ٢٠٤/٤.

(٢٩) هو النعمان محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري، يرفع نسبه إلى قحطان، أبو عبد الله، المفيد، ويعرف بابن المعلم محقق إمامي، انتهت إليه رئاسة الشيعة في وقته، كثير التصانيف في الأصول والكلام والفقه، ولد ٣٣٦. الأعلام ٢١/٧.

(٣٠) الديوان ٣٠٥/١

(٣١) ينظر: تاريخ بغداد ٣٤٧/٢، وشذرات الذهب ١/١٤/٣، البلاغة القرآنية والنبوية ١٠/٩، في الأدب العباسي/ ٤٠٨.

الذي كان صديقًا حميمًا له علو همته، وسمو مواهبه وسعة مطامحه، وسرعة تقدمه فتنبأ له بالخلافة"[٣٣].

"ففي هذا العصر عرفت اللغة العربية نهضة أدبية لا تزال تسيطر على الأقلام والعقول إلى اليوم، ففي ذلك العصر نبغ أبو الحسن الجرجاني[٣٤] صاحب (الوساطة بين المتنبي وخصومه) وفي ذلك العصر نبغ أبو بكر الباقلاني صاحب (إعجاز القرآن)، وفيه نبغ أبو القاسم الآمدي[٣٥] صاحب (الموازنة بين الطائيين أبي تمام والبحتري).. وتفجرت فصاحة أبي هلال العسكري[٣٦])[٣٧].

شاعريته:

يعد الشريف الرضي في طليعة شعراء اللغة العربية، ولقد نال شعره شهرة واسعة في عالم الشعر والشعراء.

---

(٣٢) الصابي: هو إبراهيم بن هلال أبو إسحاق الصابي، نابغة كتاب جيله، كان أسلافه يعرفون بصناعة الطب ومال هو إلى الأدب، كان صلبًا في دين الصابئة ولد ٣١٣هـ وتوفي ٣٨٤هـ الأعلام ٧٣/١.

(٣٣) في الأدب العباسي/ ٤١٠.

(٣٤) القاضي الجرجاني هو علي بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني، أبو الحسن، قاضي من العلماء بالأدب، له شعر حسن، ولد بجرجان، وتوفي بنيسابور سنة ٣٩٢هـ، من كتبه "الوساطة بين المتنبي وخصومه"، و" تهذيب التاريخ" وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ت/ إحسان عباس ٢٧٨/٣ ط دار صادر بيروت، ١٩٠٠م.، والأعلام ٢٣٣/٤.

(٣٥) الآمدي هو الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي، أبو القاسم البصري، نحوي أديب، ناقد، كاتب، شاعر، ولد بالبصرة ونشأ وتوفي بها من كتبه : الموازنة بين أبي تمام والبحتري، والمؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، توفي ٣٧٠هـ الأعلام ١٨٥/٢.

(٣٦) أبو هلال العسكري هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، صاحب كتاب (الصناعتين)، كان موصوفا بالعلم والفقه، والغالب عليه الأدب والشعر، توفي سنة ٣٩٥، الأعلام ١٩٦/٢.

(٣٧) عبقرية الشريف ٤٥/١.

لأنه كان شاعرًا "يفيض الشعر من وجدانه، لأنه يعبر عن معاناة صادقة، وتجربة حارة، ولذلك جاءت الصنعة في شعره قليلة"(٣٨).

وكان بحق شاعرًا مطبوعًا لأنه "نظم الشعر بدون تكلف أو استنادًا إلى قاعدة أو معرفة عروض"(٣٩).

وكان شعره يجمع إلي "السلاسة متانة، وإلى السهولة رصانة، ويشتمل على معان يقرب جناها، ويبعد مداها"(٤٠).

وعالج الشريف الرضى في شعره موضوعات المدح والرثاء والفخر والنسيب، والوصف والهجاء، والحكمة والزهد، وسوى ذلك(٤١).

وقد أشاد صاحب يتيمة الدهر بالشريف، وشهد له بالشاعرية والتفوق فقال: "أبدع أبناء الزمان، وأنجب سادة العراق... هو أشعر الطالبين من مضى منهم ومن غبر على كثرة شعرائهم الملفقين... ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق"(٤٢).

وشهد له بالتفوق والفحولة د/ زكي مبارك فقال: "هو أفحل شاعر عرفته العربية، وأعظم شاعر تنسم هواء العراق، ومع ذلك سكت عنه النقد الأدبي فلم يؤلف عنه كتاب، ولا فصل جيد من كتاب" (٤٣).

كما لقبه بأنه: "شاعر الوجدان"(٤٤).

---

(٣٨) الحماسة في شعر الشريف الرضى/ ٢٣٨.
(٣٩) تكوين الخطاب النفسي في النقد العربي القديم د/ حسن البنداري ، ص/٣٥ مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة.
(٤٠) ينظر: يتيمة الدهر للثعالبي، ٣٥٧/١، ط دار الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
(٤١) مقدمة ديوان الشريف ص/٧.
(٤٢) يتيمة الدهر ١٣٣/٣، ١٣٤.
(٤٣) عبقرية الشريف ١٥/١.
(٤٤) ينظر: المرجع السابق ٤٣/١.

"وهو صورة للشاعر الحق، لأن الشاعر لا يخلو قلبه أبدًا من التسامى إلى كرائم المقاصد، وأشرف الغايات"[٤٥] وقد كان شاعرًا مثقفاً.

وقد فضله" الأستاذ عبد الرحمن شكري على ابن الرومي وأبي تمام[٤٦]، والمتنبي[٤٧] والمعرى[٤٨]، من هذه الناحية، فذكر أنه لا يضارع ابن الرومي في تحليله المعنى وتقصيه.. في التفكير في النفس والحياة وأخلاق الناس... ثم قال: ولكني أحسب أن الشريف بزهم جميعا في هذا الضرب من الشعر"[٤٩].

"وكان الشريف يعيش حياة البؤس، والحرمان، والهناء والسعادة، والغضب، والثورة والشعور بالعظمة الذاتية .. وبالعظمة التاريخية، وأعني رصيده العالي في النسب، وأمجاده الخالدة.. ولهذا جاء الفخر على لسانه قويًا، مؤثرًا لا تكاد نبرة الحماس لا تفارقه، وصور الرجولة والعزة والإباء، لا تغيب عنه، فكان معين حماسته، ومنبعها الأصلي.. طاغياً على أكثر أغراض شعره [٥٠].

---

(٤٥) ينظر المرجع السابق، ١٧٨/١.

(٤٦) أبو تمام: هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي أبو تمام الشاعر الأديب أحد أمراء البيان. ولد في جاسم، (من قرى حوار بسورية)، ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه وقدمه على شعراء وقته، فأقام في العراق، ثم ولى بريد الموصل فلم يتم سنتين حتى توفى بها" الأعلام ١٦٥/٢.

(٤٧) المتنبي: هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي أبو الطيب المتنبي، الشاعر الحكيم، أحد مفاخر الأدب العربي، له الأمثال السائرة والحكم البالغة، والمعاني المبتكرة ولد سنة ٣٠٣هـ وتوفي ٣٥٤هـ الأعلام ١١٥/١.

(٤٨) المعري: هو أحمد بن عبد الله سليمان التنوخي المعري شاعر وفليسوف ولد ومات في معرة النعمان، عمى وهو في السنة الرابعة من عمره وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، ولد سنة ٣٦٣ هـ وتوفي ٤٤٩ هـ الأعلام ١٥٧/١.

(٤٩) الشريف حياته ودراسة شعره ٢٣٣/٢.

(٥٠) الحماسة ص٣٠٣.

"ولا تكاد تخلو قصيدة من قصائد الشريف في جميع أغراض شعره من القنا والرماح، والسيف، والقضب، والفرسان، والفيتان، والدروع، والأسنة، وحمحمة الخيل، وهدير الفحول" (٥١).

"لقد كان شاعرًا مثقفاً يدرك تمام الإدراك كيف تصطرع العقول، والمذاهب والأهواء،.. كان الشريف في حرب شعواء بين القلب والعقل، وكان يطمح في أن يجمع لنفسه جميع أقطار المجد، فيكون من أئمة الفقهاء، وأقطاب الشعراء، وأعيان الخلفاء، وقد ضاعت أمانيه ضياع الزهر في الوادي.. ولم يبق منها غير الإمامة في الشعر والبيان"(٥٢).

آثاره:

لقد ترك لنا الشريف الرضى مؤلفات تعد بمثابة الكنوز للمكتبة العربية، كما كانت هذه المؤلفات ثرية ومتنوعة فمنها ما هو أدبي، وتاريخي، ومنها ما هو ديني، ومنها ما هو لساني، وسوى ذلك.

ومن أهم هذه المؤلفات:

١- أخبار قضاة بغداد.

٢- تعليق خلاف الفقهاء.

٣- تلخيص البيان في مجازات القرآن.

٤- الجيد من شعر أبي تمام.

٥- ديوان شعره.

٦- حقائق التأويل في متشابه التنزيل.

٧- سيرة والده الطاهر.

٨- مجازات الآثار النبوية.

---

(٥١) المرجع السابق/٢١٢، الوصف إيليا الحاوي٩٦.

(٥٢) عبقرية الشريف ٤٨/١، ٤٩.

٩-نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه(٥٣).

وفاته:

قد اختلف في تاريخ وفاته فذكر صاحب شذرات الذهب أنه توفي بكرة يوم الخميس سادس المحرم، وقيل: صفر سنة ست وأربعمائة ببغداد ودفن في داره(٥٤).

بينما ذكر صاحب تاريخ بغداد أنه توفي في يوم الأحد السادس من المحرم سنة ست وأربعمائة ودفن في داره بمسجد الأنباريين(٥٥).

---

(٥٣) ينظر: الشريف الرضي حياته ودراسة شعره ٣٤١/١ وما بعدها، وينظر في الأدب العباسي/ ٤١٥، ٤١٦.
(٥٤) شذرات الذهب ١٨٤/٣.
(٥٥) تاريخ بغداد ٢٤٧/٢.

الفصل الأول
مقامات التشبيه بالأسد في الأغراض الشعرية
المبحث الأول
المدح

إن الشريف الرضي بحسه البلاغي "يمدح كل واحد بما يصلح له، فيمدح الملك بالعزم والرياسة، ويمدح الأمير والوزير بالحزم والسياسة، كما يمدح الكاتب بالذكر والفكر والذكاء والدهاء، ويمدح القائد بالبأس والشدة والصرامة والنجدة"(٥٦).

ثم أنه استعان بالتشبيه بالأسد في مدحه لأبيه وأسرته، بالقوة والشجاعة، والقضاء على الأعداء والظفر بهم، والاستعداد للهجوم وقوة التصدي والتحمل، والرعاية للأولاد والذود عنهم، والهيبة والمنعة.

إن "مدائح الرضى لوالده، تثير في نفسه صور البطولة والحماسة، لأنه يجد في ذات والده البديل الذي افتقده في واقعه المادي"(٥٧).

ولقد استعان بالأسد في هذا الغرض توظيفاً ينعكس إيجاباً على قوة المعنى ووضوحه وتأكيده.

واختيار الأسد مشبهاً به للتعبير عن قوة شجاعة الممدوح -لا شك- فيه طرافة وحكمة من الشاعر، ذلك لأن الأسد هو الرمز الأشهر في الشجاعة والصرامة.

ويحمد للرضى أنه قد يجمع بين التشبيه بالأسد والليث في شاهد واحد وصورة كلية واحدة، وقد تراه يجمع بين وصفه وتشبيهه بالليث والذئب تارة أخرى ومنه قوله(٥٨):

---

(٥٦) ينظر: أسامة بن منقذ حياته وآثاره د / حسن عباس / ٣٣ "بتصرف" الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الإسكندرية.
(٥٧) ينظر: الحماسة /٢٥٤.
(٥٨) الديوان ١ / ٢٨٦ ، ٢٨٧.

كنـــــتَ ليثـــــاً وكـــــان ذئبـــــاً ∴ ولكـــــن لا تلـــــذ الأشـــــكالُ بالأضـــــدادِ

وقوله[٥٩]:

مـــا خلـــع الـــدهرُ عنـــه ســـابغةً ∴ والليـــثُ لا ينتضـــي مـــن اللِّبـــدِ

رُبَّ مخـــــوفٍ كـــــأن طلعتـــــه ∴ تلقـــــي المطايـــــا بطلعـــــةِ الأســـــدِ

ومنه قوله يفخر مادحاً أباه[٦٠]:

محبســـــة علـــــى الأهـــــوال تلقـــــي ∴ بهـــــا العقبـــــانَ رافعـــــةَ الـــــذنابي

يُوقِّرهـــــا فتحسَـــــبُها أســـــوداً ∴ ويطلقهـــــا فتحســـــبُها ذئابـــــاً

– مدح الخلفاء العباسيين والوزراء:

– الطائع لله:

لقد استعان الشريف الرضي بالتشبيه بالأسد في مدحه للخليفـة الطـائع لله ليعبر عن معاني الظفر والفتك بالأعداء، والشجاعة في المعارك وقوة بطشه وتمام الإدراك والإحاطة بأعدائه.

مدحه للملك بهاء الدولة:

لقد مدح الشريف بهاء الدين أصدق مدح لأفضاله عليـه، والألقـاب التـي منحها إياه، حتى أن الدكتور زكي مبارك قد أعجب بتلك المـدائح وقـال عنهـا: "مدائح الشريف لبهاء الدولة فرصة عظيمة لجموح الخيال، ففـي تلـك المـدائح لفتات ذوقية وروحية وخلقية"[٦١].

فكان الشريف "ينوه بخلائق الرجال وهو يحسها أقوى إحساس"[٦٢].

---

(٥٩) الديوان ١ / ٢٨٣.
(٦٠) الديوان ١ / ٩٥.
(٦١) عبقرية الشريف الرضي ١٦٩/١
(٦٢) ينظر المرجع السابق ١٧/١

لقد حاول أن يصور الشريف الرضي من خلال التشبيه بالأسد، الحروب التي اجتازها بهاء الدولة، وكيف كانت تلك الحروف مليئه بالأخطار، واستطاعته الفوز والانتصار على أعدائه مع إبادتهم.

كما أنه مدحه بالشجاعة والعزة، والسيادة، الإقدام، والهيبة.

ومضائه وعزيمته، وقوه قلبه، ورعايته وزوده عن أولاده.

وأكد من خلال التشبيه بالأسد على بطش بهاء الدولة وذلك للتعبير عن "فظاعة الحرب ونتائجها الوخيمة"(٦٣).

ومن توظيف التشبيه بإحدى أعضاء الأسد وهو الطلعة واللبدة للتعبير عن الهيبة والمنعة والملازمة والشجاعة، ما جاء عند الشاعر من مدحه لأبيه حيث قلق عليه فيقول في قصيدة بعنوان: (خير الهوى) (٦٤):

فتىً رأى الدهرَ غيرَ مؤتمنٍ، ∴ فما فشا سرُّه إلى أحدِ

وأين مثلُ الحسين إن حسنتْ ∴ صنائعُ البيض والقنا القصدا

أبلج إن صاحت المطي به، ∴ فدى التنائى بعيشة الرغَدِ

ما خلع الدهر عنه سابغة، ∴ والليث لا ينتضى من اللبد

... رب مخوف كأن طلعته ∴ تلقى المطايا بطلعة الأسد(٦٥)

في تلك الأبيات يمدح الشاعر أباه بأنه أبلج ، صاحب أسفار، وعزيز جواد كريم ، شجاع يقود الخيل، يورد أسيافه المنايا(٦٦).

---

(٦٣) الطبيعتان / ٢٦٣.

(٦٤) الديوان ٢٨٦/١، ٢٨٧ .

(٦٥) السابغة: الدرع الطويلة المفضليات/ ٩٨، اللسان مادة (سبغ) . اللبدة: ما تلبد على منكبيه من الشعر معجم مقاييس اللغة مادة (لبد). نضا: خلعه وألقاه عنه اللسان مادة (نضا).

(٦٦) طلعته: رؤيته . حيا الله طلعتك ... طلعة الرجل : شخصه وما طلع منه . اللسان مادة (طلع) . أسد: الهمزة والسين الدال ، يدل على قوة الشيء لذلك سمى

ففي تلك الأبيات يوجد تشبيهات بالأسد لأبيه أحدهما: في قوله:

مـــا خلـــع عنـــه الـــدهر ســـابغة ∴ والليـــث لا ينتضـــي مـــن اللبـــد

حيث شبه الشاعر أباه في ملازمة أبيه للبس الدروع الطويلـة الواسـعة، بلبدة الليث التي تمنع الفريسة من الهرب، ووجه الشبه: هو المنفعة والملازمـة والرهبة والشجاعة في كل. فأبوه لا يستغنى عن الدروع كما أن الأسد لا يستغنى عن لبدته . وكان هذا التشبيه ضمنيًا ، لأنه أتى به في صورة برهان على إمكان وقوع ما أسنده للمشبه، فلم يصرح بالتشبيه فيقول: أن أباه في ملازمته للـدروع يشبه لبدة الأسد، (لأنه التشبيه كلما دق وخفى كان أبلغ وأوقع في النفس) .

ولقد أشاد الإمام عبد القاهر بهذا اللون من التشبيه إذ يقول : "فهـذا كلـه ومغزاه وحقيقة معناه تشبيه، ولكن كنى لك عنه، و.....فيه ، وأتيت بـه عـن طريق الخلابة في مسلك السحر، ويذهب التخييل فصار لذلك غريب الشكل بـديع الفن ، منيع الجانب لا يدين لكل أحد) (٦٧).

وهذا التشبيه يوحى بالمبالغة في القوة والمنفعة والملازمة والهيبة ، فهـو دائم الذهاب الى المعارك والحروب، مما يدل على فرط شجاعته وجرأته ، لحماية غيره، وكأنه أسد عليه لبدة.

ويمكن أن يكون قوله: (ما خلع الدهر عنه سابغة) كناية عن كثرة حروبـه وشجاعته ، والاستعارة المكنية في قوله : (ما خلع الدهر) وقوله: (لا ينتضي من اللبد)، فانظر الى تداخل الصور عنده مما يدل على خياله الخصب.

وتأتى بلاغة الشريف في ملاحظة مناسبة الألفاظ لمعانيها في اختياره لكلمة (الليث) من بين أسماء الأسد لما تفيده من القوة والجلدة التي يمتاز بها أبـوه، إذ

الأسد أسدًا لقوته ... يقال استأسد النبت: قوى... ويقال: استأسد عليـه اجتـرأ ينظر: أساس البلاغة، اللسان العرب مادة (أسد) ــ مقاييس اللغة مادة (أسد).

(٦٧) اسرار البلاغة ٣٨٨ .

أن كلمة ليث تعنى: (الليث الشدة والقوة ... والليث الشجاع.. وقال ابن سيده وأراه على التشبيه ... وهو أليث أصحابه أي أشدهم وأجلدهم، وبه سمى الأسد ليثا والليث الأسد) [٦٨] وعرف الليث للتعظيم[٦٩].

وقد ساهم التشبيه ب (لبدة الأسد) في استحضار شجاعة أبيه وقوته، لدرجة أنه صار أسدًا حقيقيًا لابسًا درعه في الحروب.

وقد جسم تلك الشجاعة بأكثر من صورة بيانية، وكلها تؤكد على شجاعة أبيه وجرأته .

وثانيهما: التشبيه في قوله:

رب مخوف كأن طلعته ∴ تلقى المطايا بطلعة الأسد

وهذا التشبيه أيضا (بطلعة الأسد) لأبيه يوحى بالتخويف والترهيب، حيث شبه طلعة أبيه في هيبته وخوف الناس منه عند رؤيته تقديرًا له واحترامًا بصورة الأسد التي تفر منه النوق والبعير عند رؤيته، ووجه الشبه هو الهيبة والخوف في كل.

والتشبيه (بطلعة الأسد) قد ساهم في استحضار هيبة أبيه ومدى تبجيلهم له وتقديرهم له، فهم لا يرون رجلا عادياً بل يرونه أسدًا حقيقياً.

واختار التشبيه ب (كأن) للمبالغة في طلعة ابيه صارت كأنها طلعة أسدا حقيقيًا، فصار الاثنان متماثلان ولا يفترقان.

وعبر بـ(أسد) دون غيرها من الأسماء، لإفادة الشجاعة والجرأة ورباطة الجأش والقوة وغيرها من الصفات التي يتصف بها الأسد وعرف (الأسد) للتعظيم.

---

(٦٨) ينظر لسان العرب ٤١١٣/٥ مادة (ليث) .
(٦٩) المطول /٨٨ .

ولكن الذى يؤخذ على الشاعر أنه عبر بـ(رب) و(رب) كما نعرف تفيد التقليل، وهذا مقام يقتضى الكثرة ، لأنه القلة تفيد قلة من يخافونه من الناس، والمقام يقتضى الكثرة فكان الصحيح أن يقال: (كل مخوف) ولذلك عبر بـ(مخوف) اسم مفعول للدلالة على المبالغة أنا في الخوف، وأن الناس تخافه وتهابه، (والعرب تضيف المخافة الى المخوف فتقول أنا أخافك كما أخوف بالأسد وقال الشاعر: وقد خفت حتى ما تزيد مخافتى على وعلى بذل المطارة عاقل) [٧٠]

ومما يؤخذ عليه أنه عبر بـ(لفظ المطايا) وكان الصحيح أن يقول الناس فيقال: (تلقى الناس بطلعة الأسد) لأن المطايا ربما لا يكون منها خوف كالنوق والإبل لعدم تمييزها ، فيقلل هذا من قيمة الخوف والرهبة، ولكن الشاعر ربما أراد عموم الخوف من أبيه ، فالجميع يهاب أباه سواء كان أنساناً أو حيواناً، وهذا بدوره يؤدى إلى المبالغة في هيبة أبيه.

وخص الشاعر (الطلعة) دون غيرها من باقي الأعضاء لأن الهيبة أو ما يظهر منها إنما يظهر على الوجه ، كما أن الأسد هيبته ورهبته كائنة في وجهه.

ولقد وظف الشاعر التشبيه بالأسد في مقام مدح أبيه ويهنئه بعيد الفطر ويذكر فيها السيرة عملها جامعة لذكر مناقب أبيه وأيامه سنة ٣٧٩، للتعبير عن معانى الحماية والذود والشجاعة والجرأة في قصيدة بعنوان: (صداقة السفهاء داء معضل) فيقول[٧١]:

ضرغام هيجاء كفاه بأنه ∴ عند القواضب والقنا بى مشبل[٧٢]

---

(٧٠) اللسان ٣٥٣/٣. ، وينظر: جواهر الأدب في معرفة كلام العرب ، د/ علاء الدين بن على الإربلى إميل بديع يعقوب ص ٣٦٧ ط دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع .

(٧١) الديوان ١٥٧/٢ .

(٧٢) هيجاء: الهيجاء: الحرب لأنها مواطن الغضب اللسان مادة (هيج)، الضرغام: الضرغام والضرغامة الأسد، ورجل ضرغامه شجاع، فإما أن يكون شبه الأسد،

شبه الشاعر أباه في الضمير المحذوف تقديره (هو) للدلالة على شهرته حتى وقت غيبته بالضرغام، ولكنه ليس مطلق ضرغام بل مقيدًا بقوله: (هيجاء) بجامع الشجاعة والجرأة ، ويكون أكثر شجاعة وجرأة أثناء الحرب، وأكثر زودًا وحماية عن أولاده وعن شرفه، كما يكون الأسد أشد شراسة وقوة وغضبًا وإثارة حينما يكون معه أولاده وزوجته ، فلا يمكن الاقتراب منه.

وهذا التشبيه أتى محذوف المشبه والأداة والوجه أي: (هو كضرغام)، للدلالة على المبالغة والإيجاز.

يقول صاحب الطراز : "التشبيه المضمر الأداة أبلغ وأوجز من التشبيه الذى ظهرت أداته، أما كونه أبلغ فلأنك إذا قلت زيد الأسد، فقد جعلته نفس هذه الحقيقة من غير واسطة ..وأما كونه أوجز، فلأن أداة التشبيه محذوفة منه"(٧٣).

والتشبيه يوحى بروح المقاتل الوثاب والزهو والفخر بأبيه .

ويمكن أن يكون قوله: (ضرغام) استعارة من خلال تجسيم شجاعة أبيه وجرأته والتأكيد عليها، وتصويرها بصورة حسية.

ويمكن أن يكون قوله: (ضرغام هيجاء) كناية عن الشجاعة .

فالصور البيانية لا تتعارض بل تتآزر وتتعاضد، ومما أشار فيه الشاعر إلى معاني قوة التحمل والسيطرة على الأمور والهيبة، والشجاعة من خلال – التشبيه

وإما أن يكون ذلك أصلا فيه ... قال الأسبق أنه على التشبيه اللسان مادة (ضرغم)، شبل : الشبل: ولد الأسد إذا أدرك الصيد والجمع أشبال... ولبوءة مشبل معها أولادها ... قيل: لها مشبل لشفقتها على الولد اللسان مادة (شبل) ومقاييس اللغة مادة (مشبل).

(٧٣) مفتاح العلوم للسكاكى د/ نعيم زرزور، ص/٧٧ وما بعدها دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧ م.، وينظر الطراز للعلوى ٣١٥/١.

بإحدى أعضاء الأسد وهو(الثغر)في مدحه لخاله وهو أبوالحسين أحمد بن الحسين الناصر، ويهنئه بمولودة جاءته فيقول في قصيدة بعنوان (كن كيف شئت)[٧٤]:

هـــابوا ابتســـامَك في دهمـــاءَ مظلمـــةٍ ∴ ولـيس يوصـفُ ثغُـر الليـثِ بالشـنبِ[٧٥]

ســـجيةُ لـــك فاتـــتْ كـــلَّ منزلـــةٍ ∴ وضعضـعتْ جنبـاتُ الحـادثَ الأشـبِ[٧٦]

هذان البيتان من قصيدة يمدح فيها الشاعر خاله بالحنكـة وحسـن الـرأي والشجاعة والجود والبشر، وأفاض في ذكر أمجاد آبائه وأجداده"[٧٧] لقـد تنـاول الشاعر من حالات الأسد وأعضائه وهي (حدة أنيابه)، للتعبير عن مواجهة خالـه لمعضلات الزمن ونوائبه بكل شجاعة، حيث شبه ابتسام خاله أمام شدائد الـدهر غير مبالا بها، بثغر الليث فإنه حينما يكشر عن أنيابه ويتغلـب علـى فريسـته ويقهرها يبتسم تظهر أسنانه من شدة الغضب، ووجه الشبه هو: "القوة والجلـدة والحدة وقوة التحمل عند توهم الضعف في كل".

فخص (ثغر الليث) لأنها أداة الافتراس، والقضاء على الفريسة، وعبر بـــ (الليث) لإفادة الجلدة وقوة التحمل.

ونجد أن قيد تلك الداهية بأنها (مظلمة) ونكرة للإشارة إلى عظمها وشدتها وثقلها، وهذا يشير إلى قوة تحمله ومدى الاستهانة بمصائب الدهر.

وهذا يدل على مدى اهتمام الشريف بملاءمة الألفاظ لمعانيها، وأن لكل مقام مقال.

---

(٧٤) الديوان ٩٩/١.

(٧٥) الداهية: الأمر العظيم المنكر... الداهية من شدائد الدهر ... ودواهي الدهر: ما يصيب الناس من عظيم نوبه. اللسان مادة (دهى).

(٧٦) الأشب: المشتبك، من أشب الشر أي اشتبك. هامش الديوان. اللسـان مـادة (أشب).

(٧٧) الشريف حياته ودراسة شعره ٦٨/١.

وهذا التشبيه يعد متداولا ومبتذلاً، ولكنَّ الشاعر أخرجه من دائرة الابتذال إلى الابتكار والتجديد من خلال تفضيله للمشبه، وهو خاله على المشبه به وهو الأسد في قوله: (ليس يوصف ثغر الليث بالشنب) فالشاعر، لا يقرن الاثنين في الحدة، وإنما يفضل طرف على آخر، ويجعل المشبه متفوقًا على المشبه به بأن أسنان خاله توصف بـ(الشنب) أي أن رائحة فمه طيبة، ونفى ذلك عن المشبه به الأسد، إذا أن الشنب تعني (رقة وبرد وعذوبة)[٧٨] "ويؤدي التفضيل في التصوير وظيفة تشبيهية حين قرب الشاعر وأدرك العلاقة بين أسنان خاله وأسنان الأسد، وأسنان خاله أحلى وأعذب من أسنان الأسد، وعقد الشاعر المقارنة والمشابهة بينهما، لما أدركه من علاقة خفية ومنفعة ذاتية تربط طرفي الصورة"[٧٩].

ويمكن أن يكون قوله (ليس يوصف ثغر الليث بالشنب) احتراس[٨٠] من أن تكون أسنانه حادة فقط، ودون أن يكون لها رائحة طيبة.

ويمكن أن يكون هذا التشبيه ضمنيًا، لأنه يلمح من الكلام، كما أنه يفيد صلابة خاله، بالدليل وهو أن (ثغر خاله) يوصف بالشنب.

ويمكن أن نقول أن الشاعر هنا جمع بين المتباعد بين في الجنس وهو ابتسام خاله أمام حوادث الدهر وقوة تحمله، بثغر الأسد، لكنَّ الإمام عبد القاهر استحسن هذا النوع من التشبيه فيقول: "هكذا إذا استقريت التشبيهات وجدت

---

(٧٨) اللسان مادة (شنب) ٣١/٥.

(٧٩) ينظر: الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي د/ علي إبراهيم أبو زيد ص ٣٦٣، ٣٦٤، ط٢ دار المعارف ط ٢-١٩٨٣م.

(٨٠) الاحتراس ويسمى (التكميل) هو: أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني د/ محمد عبد المنعم خفاجي جـ٣/٣٠٨ ط٢ الناشر مكتبة الكليات الأزهرية.

التباعد بين الشيئين كلما كان أشد كان إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب"(٨١).

وانظر إلى مراعاة النظير(٨٢) ما بين (الابتسام، والثغر، والشنب)، لما بينهما من التناسب مما ساعد على إيضاح التشبيه، وبيان تأكيده، و"نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها، لئلا يجيء الكلام قلقًا متأخرًا عن مواضعه، وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤ منه بأختها المشاكلة لها"(٨٣).

لقد استعان الشاعر بالتشبيه بالأسد للتعبير عن معاني الظفر والفتك بالأعداء، حينما خلع الطائع يذكر أيامه، ويتوجع لما لحقه، فيمدحه بكونه شجاعًا في المعارك، ويحقق الانتصارات فيقول في قصيدة بعنوان: "سقوط طود"(٨٤):

والخيل عابسةٌ تجرمن العجاج بها ذيولا

أجتاب عارضَها، وقد رحل المنونُ به هَمثُولا(٨٥)

كالثائر الضرغام إن لبس الوغى دق الرعيلا(٨٦)

---

(٨١)ينظر:أسرار البلاغة للإمام عبدالقاهر الجرجاني تحقيق أحمد مصطفى المراغي ص٤٦المكتبة التجارية بمصر،وينظر علم البيان د/ عبدالعزيز عتيق ص/١٢٦.

(٨٢) مراعاة النظير: هو أن يجمع بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية د/ جميل عبد المجيد ص/١١٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م.

(٨٣) أثر السياق في اصطفاء الأساليب دراسة بلاغية د/ إبراهيم الهدهد ط١٤١٣هـ-٢٠٠٣م.

(٨٤) الديوان ١٧٦/٢.

(٨٥) الهمول: المتروك ليلا ونهارا يرعى بلا راع. دق: كسر، هزم. اللسان مادة(همل) و(دق).

(٨٦) الضرغام: ضرغم الضرغم الضرغام والضرغامة: الأسد ورجل ضرغامة شجاع، فإما أن يكون شبه بالأسد، وإما أن يكون أصلاً فيه .. والأسبق أنه على

أراد الشاعر أن يصور شجاعة الخليفة الطائع لله، فصور مدى شجاعته في الحروب والمعارك، وخاصة عند اشتداد الحرب، وتفرق أعدائه، واختار من حالات الأسد ما يلائم تلك المعاني، وهي الأسد الشديد الخلق الوثاب.

فشبه هيئة الخليفة الطائع لله في ظفره على جنوده وغلبته، وشدة غضبه بهيئة الأسد الذي سهل له افتراس مجموعة من الإبل التي ليس لها راع، وجه الشبه: الهيئة الحاصلة من الافتراس والغلبة في كل وسهولة تحقيق الفوز.

ونجد أن الشريف لم يكتف بتشبيه الطائع بمجرد الثائر، بل قيده بكونه (ضرغام) ليفيد المبالغة في شدة ثورته وغضبه، وتحقيق الفوز والغلبة.

فأحيانًا توجد ثورة ولا توجد شجاعة، فأفاد هذا القيد أن الثورة كانت نتيجة أن صاحبها كان يتحلى بالشجاعة مع الثورة.

وزاد هذا التشبيه جمالاً ورونقًا وجدة (الشرط والجواب) في قوله: (إن لبس الوغى دق الرعيلا) وهذا أفاد التشويق والإثارة والاستعارة الجميلة في قوله: (لبس الوغى)، وهذه الاستعارة أفادت مدى اشتعال هذه الحرب وشدتها وقوته لدرجة؛ أنه كاد يلبسها من فرط شجاعته ومهارته في قتل أعدائه.

فالاستعارة أصبغت الصفات الإنسانية على الحيوان.

" من الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبدًا في صورة مستجدة تزيد قدره نُبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلاً، وإنك لتجد اللفظة الواحدة وقد اكتسبت بها فوائد، حتى تراها مكررة، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد، وفضيلة مرموقة، وخلابة مرموقة(٨٧)"

التشبيه.. الأسد الضرغام هو الضاري الشديد المقدام من الأسود. اللسان مادة (ضرغم).

(٨٧) أسرار البلاغة، ٤٢.

ومن توظيف الشاعر التشبيه بالأسد لتصوير البطل بأسد يحن على أشباله ويدافع عنهم، وذلك لقوة الدفاع وحرارته(٨٨).

والتعبير عن الأسد بصورة كلية في لوحة متكاملة من الشكل واللون، والصوت، والحركة" حينما مدح بهاء الدولة وقد اشتدت به العلة، ثم أيل منها وصلح ذلك سنة ٤٠٣ في قصيدة بعنوان:

(قل للعدى شموا الهوان) فقال (٨٩):

نهيتكم عن ذي هما هم مشبل، ∴ حمى بجنوب السيء ضالا وغرقدًا(٩٠)

فضافض غيل في الدماء عيية ∴ كأن على ليتيه موردًا(٩١)

يفرق بين الجحفلين زئيره ∴ كما أط نجدي الغمام وأرعدا(٩٢)

يجرس آبي الدماء وراءه ∴ مجر الخليع الشرعبي المعضدا(٩٣)

---

(٨٨) الطبيعتان/ ٩٨.

(٨٩) الديوان ٣٦٥/١.

(٩٠) مشبل: صاحب أشبال لشفقتها على ولدها فإن الأسد في هذه الحالة يكون أشد ذودا ودفاعا عن زوجته وأولاده فلا يتركهم ويلازمهم. اللسان مادة (شبل) السَّيء: اسم موضع الضال والغرقد: نوعان من الشجر. اللسان مادة (ضل) و(غرقد).

(٩١) فضافض: الواسعة. اللسان مادة (فضفض)، الغيل: الماء الجاري على وجه الأرض، مقاييس اللغة مادة (غيل) عيية : كالة، ليتي مثنى ليت صفحة العنق. السب: الخمار هامش الديوان اللسان مادة (خمر).

(٩٢) الأط: الصوت مقاييس اللغة مادة (أط) نجدى الغمام: الآتي من نجد. هامش الديوان.

(٩٣) السآبي: المرتوي من الدم كناية عن الرمح اللسان مادة (ساب) الخليعة الذي أعيا أهله مكررًا اللسان مادة (خلع) والشرعبي نوع من الثياب – المعضد ثوب له زخارف في موضع العضد. هامش الديوان، واللسان (شرعب) ومادة : (عضد).

بدأ هذه الصورة الكلية بالاستعارة في قوله : (ذي هماهم) حيث شبه بهاء الدولة بـ(هماهم) بجامع الشجاعة العظمة والهمة والإرادة في كل، فالهمام: "الأسد على التشبيه"[٩٤].

وكانت هذه الاستعارة تؤكد وتبالغ في شجاعة بهاء الدولة، ثم قرن تلك الاستعارة بالكناية عن موصوف في قوله: (مشبل) كناية عن الأولاد وحمايته وذوده عنهم وقوله: (حمى بجنوب السيء ضالا وغرقدا) كناية عن الحماية، بالغ الشريف في حماية ذلك الملك وأنها لم تقتصر على الأولاد فقط، بل شملت الأماكن أيضا – بنباته ومواضعه، مما يدل على المبالغة في فرط حمايته، وإنها حماية كاملة وشاملة فصارت الأماكن مخيفة أيضا – مثل أهلها.

ثم يستمر في رسم الصورة المرهبة والمخيفة من خلال المكان ولبدته واللون وبيان الاستعارة والكناية بالتشبيه في قوله:

فضافض غيل في الدماء عيية ∴ كأن على ليتيه موردا

أي كان هناك قائد شجاع وقتلى كثيرون لدرجة أن دماء هؤلاء القتلى ظهرت على صفحة عنقه لدرجة أنه لم يهتد لوجهه، مثل الأسد الذي يجلس في غيله فيكون أكثر شراسة وقد ظهرت الدماء على لبدته من كثرة الفرائس ووجه الشبه هو الظفر والرهبة في كل، أو وجود أشياء حمراء متناثرة في جوانب شيء أبيض".

واختار (كأن) للدلالة على المبالغة في أن (المشبه هو عين المشبه به) [٩٥]

.

فكأن بهاء الدولة أصبح أسدًا حقيقياً.

---

(٩٤) ينظر: المفتاح/ ٧٤.
(٩٥) ينظر: فن التشبيه ٣/٢٩٤.

ثم نجد المبالغات في ذلك البيت – من خلال – تعبيره (بفضافض) يدل على المبالغة في الاتساع حيث أنها أضيفت إلى (غيل) فدلت على مدى اتساعه.

وقد ساهم اللون الأحمر وهو لون الدماء في إلقاء ظلاله على الصورة، وهو تكثيف الصورة، ومدى الرهبة والخوف.

ثم يستمر الشاعر في رسم الصورة واللوحة من خلال استعانته بصوت الأسد في رسم ما يتمتع به هذا القائد من صوت المخيف وهو مرعب أثناء القتال، وكثرة الجلبة في المعركة لدرجة أنه سمعه أهل الجحفلين بصوت زئير الأسد، بصوت الغمام الآتي من نجد، ووجه الشبه الفزع والخوف في كل.

ويشبه أيضا– صوت الرعد الشديد، ووجه الشبه هو الرهبة والفزع وشدة الصوت في كل .

وكانت الأداة (الكاف) لتدل على قرب المشابهة بين الطرفين[٩٦] للإيضاح وتأتي وسيلة بل فضل صوت الممدوح على الأسد بأنه (أرعد) لتوحي بشدة الصوت والكثرة في كل ... " يقال للماء إذا كثر الرعد والبرق أرعد"[٩٧]

ثم يستمر في رسم اللوحة بالاستعانة بالشكل والحركة في قوله:

يجر سآبي الدماء وراءه : مجر الخليج الشرعبي المعضد.

وهذا البيت يعد نهاية المشهد، لأنه يشتمل على الظفر والفوز على الأعداء، بأن شبه الفرسان وهم يجرون الرماح الملطخة بالدماء وراءهم بصورة، ثوب المقامر المخطط المزركش بصورة الأسد الذي يجر فريسته بعد افتراسها لأولاده، وجه الشبه هو الحمرة والكثافة والكثرة والخطوط في كل. وهذه الصورة تخيم عليها صورة الترف والنعيم، ولكن الشاعر كان غير موفق لأن الشطرة الأولى تعبر عن النصر والظفر والفرح، والثانية تعبر عن الخسارة والهزيمة في كل لأن

---

(٩٦) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها ص١٠/١.

(٩٧) ينظر اللسان ١٦٦٩/٣. مادة (رعد) (بتصرف).

الخليع تعني في اللغة : "خلع الشيء يخلعه خلعًا واختلعه.. كنزعة إلا أن في الخلع مهلة، سوى بعضهم بين الخلع والنزع.. المخالع : المقامر، الخليع الملازم للقمار، الخليع من الثياب"(٩٨).

ولكن ربما أراد الشاعر أن يلحق الشكل بالشكل، وهو أن الرماح الملطخة بالدماء تشبه هذه الخطوط والزخارف التي يلبسها هذا المقامر دون الاعتداد بصاحبها.

وعبر بـ(يفرق) للدلالة على شدة الفزع واستمرار فزعته.

فترى كيف ساهم التشبيه بمكان الأسد واللون والصوت والشكل، في تعبيره عن مدى إعجابه بذلك الممدوح ومدى قوة بطشه وزوده، وشجاعته ورباطة جأشه وانتصاره في المعارك.

كما يمكن أن يكون قوله: (يجر سآبي الدماء وراءه) كناية عن النصر، والشطرة الثانية في قوله: "مجر الخليع الشرعبي المعضد" كناية عن الهزيمة، فبينهما طباق، كما يوجد مراعاة نظير بين قوله: (ذي هماهم ومشبل) و(غيل – ليتيه) و(زئير، والغمام، والرعد) كما بين هذه الألفاظ من تناسب وتلاحم، وساهم على بيان الصورة وكذلك يوجد جناس(٩٩) بين (يجر– مجر)، فالنكات البلاغية تتآزر وتتعاضد ولا تتعارض والمحسنات البديعية أتت فطرية وعفوية وتطلبها المقام.

ومما ورد عند الشاعر من تصوير التشبيه بالأسد بصورة كلية كأنها لوحة متكاملة، حين وظف ذلك للتعبير عن شجاعة وبطش الملك بهاء الدولة، وذلك

---

(٩٨) اللسان ١٨٢/٣.

(٩٩) الجناس هو: تشابههما في اللفظ، واختلافهما في المعنى ينظر: مواهب الفتاح (ضمن شروح التلخيص) "بتصرف".

للتعبير عن "فظاعة الحرب ونتائجها الوخيمة"[١٠٠] بالرأس واللبدة الملك البويهي، حينما هنأه بعيد الفيروز ومدحه سنة ٤٠٣ في قصيدة بعنوان: (صفحات بيض) حيث يقول[١٠١] :

إذا افتخروا ضعضعوا الفاخرين ∴ ن، خطم القروم رقاب الإقال

وجاؤوا بأصل من الديلمين ∴ أرسى على من أصول الجبال[١٠٢]

أقول لساع على إثرهم، ∴ يطالب شأواً بعيد المنال

حذار فإن على الجهلمتين ∴ هموس الدجى مرصد للرعال [١٠٣]

له هامة كرحى الطاحنات ∴ تدور على لبدة كالثفال[١٠٤]

ينوء تحامل ذي ريثة ∴ ويقعد إقعاء غرثان صال[١٠٥]

وما زال ساعده واللبان ∴ على جزر من لحوم الرجال

ويحميكم عن ورد الحمام ∴ تخمط قرم قديم الصيال [١٠٦]

ألم ينهكم رش شؤبوبه ∴ بوابل ذي برد وانسجال

---

(١٠٠) الطبيعتان /٤٦٣.

(١٠١) الديوان ١٣٥/٢.

(١٠٢) الديلمين: اسم جبال وإليها ينسب شعب الديلم.

(١٠٣) الهموس: السيار في الليل، الأسد الخفيف الوطء، الأسد الكاسر لفريسته اللسان مادة (همس)، الرعال: جمع رعلة القطعة من الخيل اللسان مادة (رعل).

(١٠٤) الهامة: الرأس اللسان مادة (هام). اللبدة: الشعر المتلبد على كتفي الأسد اللسان مادة (لبد). الثفال: الحجر الأسفل من الرحى، وهو أيضا جلد يبسط تحت الرحى، اللسان مادة (ثفل) ومقاييس اللغة مادة (ثفل).

(١٠٥) ينوء: ينهض بجد ومشقة، اللسان مادة (ناء) الزينة: البطء، اللسان مادة (زين) التخمط: الغضب الزائد، اللسان مادة(خمط) القرم: السيد الشجاع، اللسان مادة (قرم).

(١٠٦) الصيال: جمع صولة هامش الديوان، واللسان مادة (صال).

لقد هنأ الشريف الملك بهاء الدين ومدحه "بكرم الأصل .. .ووصفه بالشجاعة والجود... وطلب العز والرفاهية، ودوام الملك والسؤدد".

... ومدحه بكرم الأصل .. الضاربة في الديلم"(١٠٧).

فاستطاع أن يجسم الشاعر تلك المعاني ويشخصها بأكثر من صورة بيانية سواء كانت استعارة أو كناية أو تشبيه، واستطاع أن يوظف التشبيه بأحد أعضاء الأسد وهي (الرأس واللبدة) للتعبير عن الشجاعة والجرأة والهيبة والسيادة وشدة الهجوم والتدمير.

وتصوير الحرب بصورة بشعة مكروهة مملوءة بالأخطار بصورة الأسد حينما يكون هناك خطر أو غضب للتعبير عن شدة الحرب.

فاستعار كلمة (هموس) في قوله: (هموس الدجى مرصد للرعال) للملك بهاء الدولة بجامع الشجاعة والرهبة والترقب في كل، ثم وضح تلك الاستعارة ليفصل كيفية هذه الشجاعة والجرأة بالتشبيه في قوله:

لـــه هامـــةٌ كرحـــى الطاحنـــات ∴ تـــدورُ علـــى لبـــدةٍ كالثفـــالِ

ليعبر به عن السيادة والتفوق ،فشبه رأس بهاء الدولة وهو يرأس جيشه في الحروب، وله هيبة، فهو يستطيع أن يفزع أعداءه ويخيفهم.

"فالحرب تجمع الناس ثم تبيدهم وتهلكهم وكأنها تجعلهم كالطحين في التكسير والتفتيت"(١٠٨).

وأباد عدوه إبادة تامة بـ (رحى الطاحنات) في إهلاك الحب وتفتيته.

ولم يشبه الرأس بمطلق(رحى)بل قيدها بالإضافة في قوله:(رحى الطاحنات) ليفيد ذلك أن العدو أُبيد إبادة تامة، ولم يبق منهم شيء فهو بمثابة طحن الدقيق.

---

(١٠٧) الشريف حياته ودراسة شعره ٢/٧٥ "بتصرف".
(١٠٨) الطبيعتان/ ٣٦٣.

ثم شبه لبدة الأسد في قوله: (تدور على لبدة كالثفال) فاللبدة تمنع الفريسة من الإفلات، وكانت لبدته بمثابة الحماية والذود له من فرار فريسته، فشبه اللبدة بـــ(الثفال) التي تمنع الدقيق من الوقوع فهو بمثابة اللبدة.

ووجه الشبه: هيئة شدة الهجوم والتدمير والتفتيت مع وجود ما يمنع مـــن الهرب.

ويعد هذا التشبيه تمثيليًا [١٠٩] وهو "أبلغ من غيره، لما فـــي وجهـــة مـــن التفصيل الذي يحتاج إلى إمعان فكر، وتدقيق نظر، وهو أعظم أثرًا فـــي المعـــاني يرفع قدرها، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها، فإن كان مدحًا كان أوقع، أو ذمًا كان أوجع، أو برهانا كان أسطع، ومن ثم يحتاج إلى كد الذهن فـــي فهمـــه، لاستخراج الصورة المنتزعة من أمور متعددة حسية كانت أو غير حسية لتكون وجه الشبه"[١١٠].

بل جعل الملك البويهي يفضل الأسد في كونه (يصيد الرجال ولا يغير علـــى السوام).

وهذا التشبيه لو فكك وقيل: (الرأس) كـــ(اللبدة) و(الرحـــى) كـــــ(كالثفال) لذهب بحلاوة التشبيه، وذهب بجمال الصورة التشبيهية، لأنها صورة كلية اجتمع فيها شكل وحركة وصوت، وذلك لأن كل ذلك أفاد شدة الهجوم مع الإهلاك، مـــع "فظاعة الحرب ونتائجها الوخيمة"[١١١].

وانظر إلى جمال التشبيه حيث جعل الصورة باهرة ومليئة بالحركة والجلية والعراك نتيجة افتراس الأسد لفريسته.

---

(١٠٩) التشبيه التمثيلي: هو ما كان وجهه وصفًا منتزعًا من متعدد أمرين أو أمور حاشية الدسوقي ٤٣٢/٣.

(١١٠) جواهر البلاغة/ ٢٣٠.

(١١١) الطبيعتان/٤٦٣.

كما قال الشاعر[١١٢] :

فتعـــرككم عـــرك الرحـــا بثفالهـــا ∴ وتلقـــح كشـــافا ثـــم تحمـــل فتتـــئم

وخص الشاعر (رأس الأسد) واللبدة بالـذات، لمـا لهمـا مـن الترهيـب والتخويف وإفزاع الفريسة، وتعد رأسه أداة من أدوات الظفر، وكذلك لأنها أعلى شيء فيه، واللبدة تعد بمثابة الإكليل له، ومصدر من مصادر السـيادة والملـك، ولذلك نكرها فقال: (هامة) للتعظيم والمبالغة في شدتها وقوتها.

فانظر كيف ساهم التصوير بالأسد فـي التعبيـر عـن السـيادة والتفـوق والشجاعة، وما يكنه الشاعر من صدق مشاعر تجاه هذا الملك الفارسي.

ومع هذا نجد أن الشاعر أخطأ في شيئين هما تعبيره بـ(الطاحنات) جمـع قلة، والمبالغة تقتضي جمع الكثرة فيقال: (الطاحنون) فيفيد بذلك الكثـرة وقـوة الشوكة، ولكن ربما يعذر لأجل الضرورة والوزن والقافية.

أما الثاني أنه عبر بـ(هامة) بدلا من الرأس، وذلك لأن الرأس تفيد السيادة والعلو أظهر من الهامة، ولأن الهامة قد تكون للملك وغيره، ولكنَّ الرأس تفيـد الرئاسة والسيادة كما يقال: "رأس عليهم فرأسهم وفضلهم"[١١٣]

ثم استطرد الشريف إلى ذكر صفات الأسد من كونه (كسـوب) علـى وزن (فعول) للدلالة على تجدد رزقة، فهو لا يحتاج إلى ادخار الطعام، لأنه له في كـل

---

(١١٢) الطبيعتان/ ٣٧٠ وينظر : مقاييس اللغة ٣٨٠/٢ مادة (عرك). وورد البيت في الديوان:

فتعرككم عرك الرحـا بثفالهـا وتلقح كشافا ثـم تنـتج فتتـئم

شرح ديوان زهير بن أبي سلمى صنعه/ الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب جـ١ ص/١٩ الدار القومية للطباعة والنشـر القـاهرة ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

(١١٣) يراجع اللسان ٨/٤.

يوم فريسة، وعدم تواكله، مع الجهد والمشقة في اكتساب الرزق وكناية عن كثرة الرزق، وقوله: (مطعم للعيال) كناية عن وفرة المغنم.

هكذا استطاع الشاعر أن يستعين بصورة الأسد للتعبير عما يمتاز به الملك بهاء الدين من السيادة والتفوق، والشجاعة، وعدم التواكل في أجمل تصوير، وأصدق تعبير.

ومما ورد في مقام المدح عند الشاعر من التعبير عن الإقدام

والشجاعة والهيبة، ما جاء في مدح بهاء الدولة ويهنئه بتحويل سنته وقد كتبها إليه وهو بواسط في جمادى الآخرة سنة ٣٨٨ فيقول[١١٤] في قصيدة بعنوان (مخول النعم) أو (مسوم الرايات):

ملك الملوك يرا ∴ وح بين عفو وانتقام

ما إن أبالي من ورا ∴ ئي بعد أن يضحى أمامي

كالليث يقتنص الرجا ∴ ل ولا يغير على السوام

يظمي الرواء إذا سطا؛ ∴ وإذا سخا أروى الظوامي

فالتشبيه في قوله: (كالليث يقتنص الرجال)..

شبه الشاعر بهاء الدولة في جرأته وشجاعته وإقدامه على العدو بالليث

ووجه الشبه: القوة والجرأة والجلدة والشجاعة في كل.

وهذا التشبيه يعد متوارثاً لا جدة فيه، لكن الشاعر أخرجه من طور الابتذال إلى الجدة من خلال التفضيل، فبهاء الدولة يصيد الرجال الأقوياء. وهذا التشبيه يوحي بمدى انتصاره في الحروب، وهو لا يقاتل إلى المضاهيين له في الشجاعة، ولا يغير على السوام كالأسد فهو يفضله في ذلك، ويمكن أن يكون قوله: (كالليث

---

(١١٤) الديوان ٣٠٦/٢.

يقتنص الرجال) كناية عن الشجاعة والجرأة والإقدام، وقوله "ولا يغير على السوام) كناية عن الضعفاء.

ويمكن أن يكون قوله: "ولا يغير على السوام) احتراس لئلا يتوهم أنه يصيد الضعفاء مع الرجال، فأراد بالاحتراس أن يؤكد لنا على شجاعته وإقدامه في مقاتلة الأقوياء مثله.

فرأينا كيف استطاع الشاعر أن يضفي على ممدوحه من صفات الأسد، وهي الجرأة، والشجاعة، والإقدام، والهيبة حينما شبه بالليث؛ لأنه رأي أنهما يتشابهان في ذلك، مما يؤكد على قوته وبطشه.

لقد استعان الشاعر بصورة الأسد في التعبير عن مدى التشابه بين الخليفة الطائع، والوزير الملك المنصور في الشجاعة من خلال ذكر أعضائه، وهما (الظفر والناب) فيقول مادحًا الوزير أبا منصور بن صالح وذكر هزيمة باد الكردي الخارجي بالجزيرة والموصل.

"وكان لهذا الوزير صلات بالعلماء والشعراء.. والرضى علق عليه آماله ..ولا يخلى الرضى في هذه القصيدة من الإبانة عن العلاقة القلبية بينه"[١١٥] وبين الوزير فقال في قصيدة بعنوان: "فتى تقلق الأعداء منه"[١١٦]

وما الملكُ المنصورُ إلا ضبارمٌ ∴ له منك ظفرٌ في الزمان ونابُ[١١٧]

بعزمك يمضي عزُمه في عدوِّه ∴ مضاءَ طريرٍ أيَّدتْه كَعابُ [١١٨]

---

(١١٥) هامش الشريف حياته وشعره ١٤٢/١.

(١١٦) الديوان ٦٩/١.

(١١٧) الضبارم: الأسد وضبارم: بالضم الشديد الخلق من الأسد. الضبارم والضبارمة: الأسد الوثيق .. الجريء على الأعداء اللسان مادة (ضرم)، ربما قصد به بهاء الدولة البويهي حيث وصفه بالمنصور أيضا هامش الشريف حياته وشعره ١٤٣/٢.

شبه الشاعر الملك المنصور أو الطائع له بـ(الضبارم، ووجه الشبه: هو الشجاعة والقوة والجرأة، ولقد حذف الوجه والأداة للمبالغة في شجاعة ذلك الملك أو الوزير، ولقد أكد القصر بـ(ما إلا) على التشبيه، والمبالغة في شجاعة ذلك الملك أي: (ما ضبارم إلا أنت).

ثم فصل المشبه به ليبين جانباً من جوانب المشبه فقال: (له منك ظفر في الزمان وناب) كيف يكون ضبارم وشجاع؟ وذلك لأنه (له ظفر في الزمان وناب) ومعروف أن هذين العضوين هما أداتا التغلب على الفريسة عند الأسد، فهذا الوزير يمتلك أسلحة قوية في الحروب: فقد خص هذين العضوين عند الأسد، ليؤكد على شجاعة وقوة بطش الممدوح الذي لا تستطيع أن تؤثر فيه حوادث الدهر ومصائبه، وشجاعة هذا الوزير مستمدة من شجاعة الملك حيث يمضي (بعزمك عزمه) كناية عن نفاذ الأمر.

ولقد ساهم مراعاة النظير في قوله: (الضبارم، الظفر، وناب) على بيان التشبيه وإيضاحه وكذلك لما يتبعهما من تناسب وتلاحم وترابط.

وهو تناسب قوي جدًا إلى حد اعتبار كل لفظة من هاتين اللفظتين مناظرة أو نظيرة للأخرى"(١١٩).

الاعتذار والاستعطاف:

"مثل الرضى في سمو خلقه، وعلو همته لا يفعل ما يعتذر منه، ولا تذل نفسه فيستعطف"(١٢٠).

---

(١١٨) الطرير: المسنون، الكعاب: الرماح هامش الديوان، واللسان مادة (طرا) ومادة (كعب).
(١١٩) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات /١١٣.
(١٢٠) الشريف حياته وشعره ٢٠٣/٢.

ولكن كان هناك بعض الظروف خارج إرادته كان يضطر أن يعتذر وكان التشبيه بالأسد سبباً كبيراً في قبول اعتذاره.

فكان اعتذاره للصاحب عميد الجيوش عن تأخره مساءً فشبهه بالأسد للتعبير عن جرأته وقوته وشجاعته وجلدته، كما كان اعتذاره للملوك البويهيين "للترفع عن الدنيا، والتبرئه من ظن سيئ"[١٢١].

ومن المقطوعات عند الشريف الرضى ما وجهه إلى الصاحب عميد الجيوش[١٢٢] أبي علي بن أشناذ هرمز، ويعتذر عن تأخره مساءً وعن تلقيه لشكاية لحقته وذلك في المحرم سنة ٣٩٦.

وكان التشبيه بالأسد سبباً في قبول اعتذاره.

فيقول في قصيدة بعنوان: (مقلم أظفار الخطوب) [١٢٣]

أيا مرحباً بالغيث تسري بروقه، ∴ تروح تندي لا بكيا ولا نزرا[١٢٤]

طلعتْ على بغدادَ والخطبُ فاغرٌ ∴ فعاد ذميماً ينزع النابَ والظفرا [١٢٥]

أضاءت وعزَّتْ بعد ذُلٍّ وروضتْ ∴ كأنك كنتَ الغيثَ والليثَ والبدرا [١٢٦]

---

(١٢١) الطبيعتان / ٢٩٢.

(١٢٢)عميد الجيوش: ظل يخدم بهاء الدولة ويلملمه بجيشه حتى توفي سنة ٤٠١ه، عن إحدى وخمسين سنة وصلى عليه الرضى ودفن بمقابر قريش" ، الشريف حياته وشعره ١/١٧٦.

(١٢٣) الديوان ١/٣٨٧.

(١٢٤) الديوان ١/٣٨٧.

(١٢٥) تروح: وصل مساء – البكي: كثير البكاء، كثير العطاء.

(١٢٦) روضت: أروضت الأرض وأراضت ألبسها النبات اللسان مادة (روض)
الخطب: الشأن أو الأمر صغر أو عظم اللسان مادة (خطب).
الليث: الشدة والقوة..، الليث الأسد.. وهو أليث أصحابه، أي أشدهم وأجلدهم. اللسان مادة (ليث).

ولقد مدح الشاعر ذلك الوزير عميد الجيوش بعظيم الصفات الخلقية، الكرم والشجاعة والهيبة والعزة ورفعة الشأن، لاستجلاب عطفه، ولبيان ما يكن له من حب وإعزاز وتقدير، واستطاع أن يجسم لنا تلك الصفات من خلال التشبيه فشبه – عميد الجيوش– من خلال الضمير العائد عليه في قوله: (كأنك) بثلاث تشبيهات مرة شبهه بـ(لغيث)، ووجه الشبه هو الكرم والعطاء في كل، واختار (الغيث) ما بين أسماء المطر، لأنه أوفق وأولى بالمعنى حيث – إن الغيث لا يستخدم في الشر، بينما يستخدم المطر في الشر والعذاب لقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الشعراء:١٧٣]، كما إفادة الغيث للمطر والكلأ ما يجمع بين مؤن الحياة من طعام وشراب وهو أدل على الكرم والجود"[١٢٧] وقدم الغيث على (الليث)، و(البدرا) للدلالة على أهميته لشدة الاحتياج إليه.

ثم شبهه مرة أخرى بـ(الليث) ووجه الشبه هو الشجاعة، والجرأة، والقوة، والجلدة، والنجدة، والهيبة، في كل .

ثم شبهه تارة أخرى بـ(البدر) ووجه الشبه هو الجمال والعزة ورفعة الشأن في كل .

ومما يدل على التلاحم والترابط بين المشبهات بها أتى بواو الجمع الدالة على التلاحم، وكأنها متحققة في ذلك الشخص، واختيار أداة التشبيه (كأن) للدلالة على الاتحاد والمشابهة بين الطرفين والمبالغة في عدم افتراق عميد الجيوش عن الغيث والليث والبدر، وأنهما شيء واحد والتأكيد على ذلك.

ومما يلاحظ أن هذه التشبيهات متوارثة وقديمة، ولكن الشاعر قد ألبسها الجدة والشكل فبدت كأنها جديدة لما أضفى عليها من صدق العاطفة الجياشة.

---

(١٢٧) اللسان مادة (غيث).

كما أن التشبيه قد أوحى بعقد مقارنة بين حال بغداد قبل مجيء عميد الجيوش إليها، وحالها بعده، مما أثبت مدى المفارقة بينهما مما يدل على عظم تلك الصفات وخلودها.

ونجد أن هذا التشبيه تشبيه جمع للاختصار(١٢٨)، فجمع هذه التشبيهات في الفضيلة في اجتماعها لمشبه واحد، ولو شبه كل واحد على حدة صح، فلذلك كان من المتعدد.

ويمكن أن يكون التعبير كناية عن الكرم والشجاعة والجمال ورفعة الشأن في كل، فالنكات البلاغية تتعانق وتتداخل وتدل على خياله الخصب.

ومن الاستعطاف والاعتذار عند الشاعر للملك قوام الدين وفيه يطلب أن يعفى من تدبير أعمال أوكلت إليه، وزهدًا، وذلك في ذي القعدة سنة ٤٠٠ في قصيدة بعنوان: (يامن رأي البرق)، أو (لو لا قوام الدين) وكان للتشبيه بالأسد دور كبير في جلب الاستعطاف وتحقيقه لما أراد من هذا الإعفاء حيث يقول(١٢٩):

لولا قِوامُ الدينِ ما استوسقتْ ∴ أعناقها في السنن الأقوام (١٣٠)

... لله نعل حذيت في العلى ∴ أخمص ذاك العارض المرزم

.... قلت عيون الناس عن نيلهم، ∴ فعوذوا من أعين الأنجم

أساود تنتجها في العلى ∴ أسد إلى أمثالها تنتمي

فيخرج الأرقم من ضيغم، ∴ ويخرج الضيغم من أرقم(١٣١)

---

(١٢٨) ينظر: مواهب الفتاح "ضمن شروح التلخيص" ٤٣١/٣، لباب البيان/ ٨٩، ٩٠.

(١٢٩) الديوان ٢٦٧/٢، ٢٦٨.

(١٣٠) السنن: نهج الطريق لسان العرب ماد (سن).

(١٣١) الضيغم: العض الشديد، ومنه سمى الأسد ضيغما...، وقيل: هو الواسع الشدق منها. اللسان مادة (ضغم). الأرقم: الحية اللسان مادة (رقم).

لقد مدح الشاعر -قوام الدين- واستعطفه بأن مدحه بالعلي والمجد والكرم والشجاعة وكرم أصوله، وأنه يرث آباءه وأجداده في هيبتهم وسيادتهم وشجاعتهم وشدة إيذائهم لأعدائهم وغيرها من الصفات.

ولقد وظف الشاعر من حالات الأسد والحية ما يلائم تلك المعاني، فقال:

أساوِدُ تنتجها في العلي ∴ أُسْدٌ إلى أمثالها تنتمي

فيخرج الأرقمُ من ضيغمٍ ∴ ويخرج الضيغمُ من الأرقمِ

وانظر إلى جمال التكرار في قوله:

فيخرج الأرقم من الضيغم... إلخ أدى إلى التناغم الموسيقى والتفخيم والأبهة، وشدة التأثير.

وتأتي براعة الشاعر في اختياره للألفاظ فعبر: (الأسد) و(الضيغم) و(الأساود والرقم)؛ ليفيد شدة الشراسة والقوة في كل، لأن كلمة (الضيغم) تعني: (العض الشديد، ومنه سمى الأسد ضيغما... وقيل الواسع الشدق"[١٣٢].

واختار الأرقم (أخبث الحيات وأطلبها للناس) [١٣٣].

ولقد قدم (آساود على أسد) للاهتمام والاختصاص، لأن الفروع قد اكتسبت الشجاعة والقوة من أصولها.

وقد ساهم مراعاة النظير بين (أساود، وأسد، وارقم والضيغم) لما بينهما من تناسب، فكلاهم من الحيوانات المفترسة والشرسة، وما بينها من ترابط وتلاحم، وقد ساهم بدور كبير في إيضاح التشبيه وبيانه والتأكيد عليه، والكناية والتكرار، كل ذلك عضد المعنى، فالنكات البلاغية تتعاضد وتتأزر ولا تتعارض.

ومما جاء في مدح ملوك بنى بويه مع الاعتذار إليهم حينما سافر الشريف الرضي إلى الكوفة، وقيل إنه عزم على التوجه إلى مصر، إلا أنه رجع إلى بغداد

---

(١٣٢) اللسان ٥/٥١٠.
(١٣٣) اللسان ٤/٣٣٠.

ثم نظم هذه القصيدة يعبر عما في نفسه، ويمدح الأتراك ويذكر ملوك بني بويه ويذم بعض أعدائه"(١٣٤).

مستخدما التشبيه بمكان الأسد وأنيابه للتعبير عن شجاعة بني بويه فيقول في قصيدة بعنوان: (كريم القوم من خدم العلي).

أفي كل يوم للمطامع جاذب ∴ يجشمي ما يعجز الأسد الوردا(١٣٥)

كأني إذا جادلتُ دون مطالبي ∴ أجادلُ للأيام ألسنَةُ لُدَّا (١٣٦)

إذا ما نفذتُ السدَّ من كل حادثٍ ∴ رأيتُ أمامي دون ما أبتغي سدَّا

في تلك الأبيات يظهر الشاعر مدى تطلعه للخلافة، وأن هذه الفكرة تراوده كل يوم، ثم يشكو الزمن لأن الأيام تقف حائلا بينه وبين تحقيقه أمانيه، وعندما يتغلب على حادث من حوادث الدهر يجئ آخر. ثم ينتقل إلى غرض آخر وهو مدح بني بويه والاعتذار إليهم.

فيقول (١٣٧):

أتركَ أملاك رزانا حلومُهم، ∴ حلولا على الزوراء أيمانُهم تندى(١٣٨)

كأنك تلقى منهم أجميةً ∴ مؤللةَ الأنياب أو قُلَلا صُلْدا (١٣٩)

ولا يأنف الجبارُ أن يعتفيهمُ، ∴ ولا الحرُّ يأبى أن يكون لهم عبدا

---

(١٣٤) الديوان ١/ ١٧٠.
(١٣٥) الديوان ١/ ١٧١.
(١٣٦) لدا: أعداء، اللسان مادة (لدد).
(١٣٧) الديوان ١/٣٧١.
(١٣٨) الزوراء ببغداد في الجانب الشرقي سميت زوراء لازورار في قبلتها معجم قبائل العرب ٤/٤١٢.
(١٣٩) القلة : أعلى الجبل.. وقلة كل شيء أعلاه وخص بعضهم به أعلى الرأس والسنام والجبل... اللسان مادة (قلل). الأجمة: الشجر الكثير الملتف وتأجم الأسد دخل في أجميته اللسان مادة (أجم).

فشبه الشاعر آباءه في هيبتهم وعلوهم وترهيبهم للأعداء، وعدم الاقتراب من حصونهم، وقوتهم، وجرأتهم بالأسود، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من الترهيب والإيذاء، فالأساود من الأسد أي أن هذا من ذاك وعدم قدرة الناس على مقاومتهم. ويمكن أن يكون التعبير كناية عن الشجاعة وشدة الإيذاء والهيبة، وأن الناس تهابهم كما يهابون الأسد والأفعى"(١٤٠).

بدأ الشاعر الأبيات بالاستفهام الإنكاري في قوله: (أأترك) للتعبير عما يحس به من قلق واضطراب نتيجة علمه بغضب بني بويه عليه، لأنه يريد أن يسافر إلى مصر، وقد أثار الاستفهام الانتباه.

فبدأ يمدحهم بالحلم والجود والعطاء، ثم التفت من التكلم إلى الخطاب في قوله: "أأترك – كأنك" وهذا الالتفات أدى إلى الاصغاء والتطرية وعدم الملل، وجذب الانتباه.

ثم إنه شبه هيئة هؤلاء الملوك في حصونهم بهيئة الأسود التي تكون داخل الأجمة، ووجه الشبه هو الحصانة والمنعة وشدة الافتراس والشجاعة والجرأة في كل.

أو ربما شبه وصور هؤلاء الملوك في منعتها وحصانتها وأنهم يرقبون أعدائهم من فوقها فلا يستطيع أحد الاقتراب منها بأجمة الأسد ووجه الشبه هو إلى الصيانة والمنعة في كل.

وإنما عبر بـ (الأجمة) وأراد الأسود نفسها لكونها مجاز مرسل "لا ترى بابًا في علم البيان أدق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب"(١٤١) علاقته

---

(١٤٠) المفضليات/ ٢١٢ "بتصرف".

(١٤١) الكشاف للزمخشري تح/ مصطفى حسين أحمد٣/٤٠٨، طبعة ١، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٣هـ١٩٣٥م.

المحلية[١٤٢]، وللإشارة إلى أن المكان شارك الأسد في شجاعته، فعمت المكان الذي يسكنه وهو الأجمة، وإذا كان المكان شجاعاً فما بالك بأصحاب المكان، والأسد في ذلك المكان يكون أشد شراسة، وفي أتم الاستعداد للافتراس، والترقب للفريسة، كذلك هؤلاء الملوك شجعان كما أن قصورهم قد عمتها الشجاعة أيضا.

واختار أداة التشبيه (كأن) للدلالة على الاتحاد بين الطرفين وأنها متماثلان في الشجاعة والمنعة، والمبالغة في ذلك.

وكذلك يوجد قيود في التشبيه وهي الإضافة في قوله: "مؤللة الأنياب"، والحال في قوله: (قللا صلدا) أي: أن هؤلاء الملوك في حصونهم يمتلكون سيوفاً حادة وقاطعة وأن هؤلاء الملوك يسكنون في أعالي القصر، لأن الأسود التي تسكن أعالي الجبال، فإنها تكون أكثر شراسة وقوة، فنجد أن هذه القيود قد ساعدت على توضيح الشبيه والإبانة عنه، ووضح التشبيه أيضاً بمراعاة النظير في قوله: (الأجمة والأنياب، وقلل وصلدا حيث بينت مدى شجاعة هؤلاء الملوك وامتلاكهم للأسلحة القوية.

فنرى كيف أجاد الشاعر في رسم صفات هؤلاء الملوك المعنوية مثل: الشجاعة والحصانة والمنعة بصورة حسية، قد أسهم فيها التشبيه بمكان الأسد وأنيابه بدور كبير في إبراز ما يمتاز به هؤلاء الملوك من شجاعة ومنعة.

فالتشبيه زاد المعنى وضوحاً، ويؤثر في العاطفة تأثيراً بينا"[١٤٣].

وقد استطاع الشاعر من خلال التشبيه بمكان الأسد أن يمسح عن قلوبهم ضغنا، كان سيجني من ورائه قهرًا وعنتًا"[١٤٤].

---

(١٤٢) المحلية: تسمية الشيء باسم محله، شروح التلخيص٣.

(١٤٣) أسس النقد المنهجى عند العرب د/ أحمد أحمد بدوىص٢١٣ ، ط دار نهضة مصر للطبع والنشر – الفجالة القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٠م .

(١٤٤) ينظر الشريف الرضي، حياته وشعره / ١٦٨/١ .

يقول الدكتور أحمد بدوي "فالشاعر ذهب مذهباً لطيفاً، وتعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر إليه، وكيف يمسح أعطافهم، ويستجلب رضاهم"(١٤٥). حتى أن الشريف جنح للمبالغة في الاعتذار إليهم في قوله:

"ولا يأنف الجبار أن يعتفيهم..."، ولا عجب في ذلك فالمبالغة سمة من سمات عصره.

---

(١٤٥) أسس النقد الأدبي د/ أحمد بدوي/ ٣٦٨.

المبحث الثاني
الرثـــاء

وفي الرثاء تسود تشبيهات يخيم عليها الحزن والتفجع، وذكر مآثر المرثى والشكوى من جور الزمان بعد فراق المرثي، ولعل الرثاء غرض أصيل في الشعر العربي على تفاوت مراحله وأجياله بدءاً من العصـــر الجـــاهلي حتـــى عصـــرنا الحديث. ويتميز بصدق العاطفة وعلو نبرة الأنين والأسى، وذكر محاسن المرثـــى في حياته وفقدان الخير بعد وفاته في مشهد ملئ بالحزن والشجو. ولعل صـــدق العاطفة مرجعه إلى أن المرثى صار مع الأموات فلا حاجـــة للشـــاعر أن يـــذكر محاسنه، إلا أن يكون الدافع صادقًا خالصًا. إذا أن الشاعر لن يناله مـــن المرثـــى شيء، ولكنه اعتراف منه بالجميل حيث أسدى المرثى له فضائل محمودة لا يُغض الطرف عنها حتى وإن قبر المرثى تحت التراب.

لقد تنوع الرثاء عند الشريف ما بين رثائه لأبيه وآل البيت، أورثاء الخلفاء الملوك، أو أصدقائه، ورثى كلاً بما يلائمه.

ولقد وظف التشبيه بالأسد، لتعداد مآثر ومفاخر هؤلاء المرثيين بما يظهـــر فجعته ولوعته لفقدهم، وشعور بالحزن والألم عليهم، لما يتصفوا به من رباطـــة الجأش والشجاعة، وشدة الخصم وضعف المهاجم، والقهر والغلبـــة والصـــلابة، والجرأة والرهبة، والخبرة في فنون القتال، والترقب والإصـــغاء للعـــدو والعـــزة والمنعة، والتذكير بالماضيين بعراقـــة أصـــولهم وســـيادتهم، وقـــوة محـــاربتهم لأعدائهم، وكثرة مهزوميهم، وقوة شجاعتهم.

تجد معاني الرثاء موفورة لدى الرضى، ولقد أسهم التشبيه بالأســـد علـــى تصوير تلك "المثل العليا التي يجب أن يكون عليها الإنسان"(١٤٦).

---

(١٤٦) الشريف حياته ودراسة شعره ٢/٣١٠.

ولقد أشاد برثاء الشريف العلماء، فقال صاحب يتيمة الدهر "لست أدري في شعراء العصر أحسن تصرفاً منه في المراثي"(١٤٧).

وقال عنه الدكتور عبد الفتاح الحلو بأن رثائه "بليغ مفعم صفاءً ومودة ووفاءً وإخلاصاً"(١٤٨).

ولقد وردت أمثلة كثيرة للتشبيه بالأسد في مقام الرثاء لتصوير مدى شجاعة الماضيين بالشجاعة والقوة والعزم والهلكة مثل قوله: في قصيدة بعنوان "ركب تأني وسار" في اجتيازه للحيرة، فرثى آل المنذر بن ماء السماء"(١٤٩) .

ورجال مثل الأسود مشوافيك ∴ ك، تداعوا قوائما وشفارا(١٥٠)

ومما جاء في مقام الرثاء عند الشاعر، والاستعانة بالتشبيه بالأسد للتعبير عن ضعف المهاجم، وشدة الخصم وقوته، ما جاء في رثائه لأبيه ذي المناقب سنة ٤٠٠ في قصيدة بعنوان: "الطاهر بن الطاهرين" فيقول (١٥١):

إن يتبعوا عَقِبَيك في طَلَبِ العلى ∴ فالذئبُ يعسلُ في طريق الضيغمِ(١٥٢)

شبه الشاعر هيئة من يتبع أبيه في بلوغ العلى وهم عاجزون عن ذلك، بهيئة الذئب الذي يضطرب ويضعف أمام الأسد، ووجه الشبه: "الهيئة الحاصلة من الاضطراب والقول والعجز وقوة الخصم".

---

(١٤٧) يتيمة الدهر ١٤٤/٣، الشريف حياته وشعره ٣١٥/٢٥.
(١٤٨) في الأدب العباسي ٤٣٣.
(١٤٩) الديوان ٥١٠/١.
(١٥٠) قوائم: مقابض السيوف، اللسان مادة (قوم)، شفاراً: الشفرة من الحديد ما عرض وحدد .. وشفرة السيف حده ينظر اللسان مادة (شفر)، ومقاييس اللغة.
(١٥١) الديوان ٢/ ٢٥٩.
(١٥٢) يعسل: يسرع ويضطرب في عدوه ويهز رأسه، اللسان مادة (عسل).

فالتشبيه يوحي بالتعجيز وتثبيط الهمة عن أن يبلغ أحدا العلى مثل أبيه، ولذلك قال الدكتور عبد الفتاح الحلو أن ذكر الرضى لأمجاد أبيه، "ألصق بالمدح منها بالرثاء" (١٥٣).

وأجاد الشاعر في التعبير عن العدو بـ (الذئب) عن الذين يريدون أن يصلوا العلا والمجد لخبثهم ومكرهم، ودهائهم(١٥٤). وذلتهم وضعفهم.

وعبر عن أبيه بـ(الضيغم) لشجاعته وقوته، وحرف (الضاد) أفاد الأبهة والفخامة.

والتشبيه هنا تمثيلي لما له من أثر جميل على المعنى يقول الإمام عبدالقاهر الجرجاني: "فإن كان التشبيه مدحاً كان أبهى وأفخم وأنبل في النفوس وأعظم وأهز للعطف وأسرع للإلف، وأجلب للفرح وأغلب على الممتدح.. وأسير على الألسن وأذكر، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر"(١٥٥).

وعبر (بيعسل) لاستمرار خبثهم ودهائهم في الوصول لذلك.

وقد ساهم مراعاة النظير بين (الضيغم والذئب) في بيان التشبيه والتناسب والتلاحم، والتأكيد على شجاعة أبيه.

إذ تجد الرضى ينعى في أحد قصائده عمه أبا عبد الله أحمد بن موسى قال من قصيدة (ذهب العيش الرقيق)، أو بعنوان: (الأيام أسد مذلة) (١٥٦):

عزاءك فالأيامُ أُسْدٌ مُذلةٌ ∴ تَعُطُّ الفتى عطَّ المقاريضِ للبُردِ(١٥٧)

---

(١٥٣) اللسان ٣/ ٤٧٩.
(١٥٤) ينظر اللسان ٣/ ١٤٧٩ مادة (ذأب).
(١٥٥) أسرار البلاغة ص/ ٦٩٣، علم البيان د/ عبد العزيز عتيق، صـ ١٣٤ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع.
(١٥٦) الديوان ١/٣٥٤.
(١٥٧) عط: شق مقاييس اللغة مادة (عط). المقاريض: جمع مقراض: مقص اللسان مادة (قرض).

إذا أوردتـــه نهلـــةً مـــن نعيمهـــا ∴ أعادتْـــه حـــرَّانَ الضـــلوعِ مـــنَ الـــوَرْدِ

حيث ينفى الرضى الأيام ويصفها في غدرها وعتوها وقسوتها بالأسد. وكأن كل يوم صار أسداً ضارباً يفتك بالناس ونيلهم قال: (فالأيام أسدٌ مذلة) وفي ذلـك إشارة على شؤم الأيام ونكايتها بالناس، حتى وإن حلت حينا فإنها تسوء أحيانـا دل على ذلك قوله[١٥٨]:

إذا أوردتـــه نهلـــت مـــن نعيمهـــا ∴ أعادتـــه حـــران الضـــلوع مـــن الـــورد

ودل هذا على الأيام وأنها مصدر التعاسة في جل الوقت وأكثره.

ويحمد للرضي أنه جعل أفراد الأيام آسادًا وحوَّل كل يوم أسدًا ضارياً، يلتهم فرائسه من الناس كل يوم قال: (فالأيام أسد مذلة) ويحمد له أنه جعلـه تشـبيهاً بليغاً بحذف الوجه والأداة، "لأن المشبه يصير عين المشبه به بلا تفـاوت وهـذا أدعى للمبالغة والتوكيد"[١٥٩].

ولا شك أن ذلك يكسب الشبه قوة والتحامًا بين الأيام والأسد.

لقد استطاع الشاعر أن يصور لنا رثاء أبي عبد الله الحسين بن علي رضي الله عنهما يوم عاشوراء سنة ٣٨٧ فيصفه وصفاً مؤثراً ، وكأن التشبيه بالأسـد جزءًا رئيساً في بيان مكانة أبيه الإمام علـي -(رضـي الله عنهمـا)- ويفتخـر بسيادته وملكه فيقول في قصيدة بعنوان: (يوم عاشوراء) [١٦٠].

أنـــا مـــولاكم، وإن كنـــتُ مـــنكم، ∴ والـــدي حيـــدرٌ وأمـــي البتـــولُ[١٦١]

---

(١٥٨) الديوان ١/٣٥٤.

(١٥٩) البيان في ضوء أساليب القرآن، د/ عبد الفتاح لاشين، صـ٢٨ ، دار الفكر العربي ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(١٦٠) الديوان ٢/ ١٧١.

(١٦١) حيدر: لقب الإمام علي، والحيدر هو الأسد، والحيدرة في الأسد مثل الملك في الناس... يعني لفظ عنقه وقوة ساعديه، ومنه غلام حادر إذا كان ممتلئ البدن شديد البطش اللسان مادة (حدر)، وينظر: الأسماء العربية معاينها ومدلولاتها د/

وإذا النـــاس أدركـــوا غايـــة الفخـــرِ ∴ شـــآهم مـــن قـــال جـــدي الرســـولُ

يفـــرح النـــاس بـــي لأنـــي فضـــلُ، ∴ والأنـــــام الـــــذي أراه فُضـــــولُ

في هذه القصيدة يعبر الشاعر عن "حزنه وألمه على استشهاده أبي عبد الله الحسين بن علي -رضي الله عنهما-، فكان يرثيه في هذه المواقف، ويصف مقتله في أسى بالغ، ويستنهض الهمم للأخذ بثأره"(١٦٢). فيمدح ويفتخر الشاعر فيقول إن أبا عبد الله بن الحسين، وهو الإمام علي -ﷺ- الحيدر أي الأسد، ووجه الشبه هو الشجاعة والجرأة والملك والسيادة وقوة ساعديه وشدة بطشه.

وعبر بالحيدر في تشبيه الإمام علي ﷺ لما بينهما من المشابهة إذ أن الحيدر تعني "الحادر من الرجال المجتمع الخلق.. الحيدرة في الأسد مثل الملك في الناس.. يعني لغلظ عنقه وقوة ساعديه .. حيث أنه كان خليفة المسلمين قال الراجز:

أنـــا الـــذي سمَّـــتني أمـــي الحيـــدرةْ ∴ أنـــا الـــذي سمـــتني أمـــي أســـدا

فحذف أسد لأجل القافية"(١٦٣).

وعبر عن التشبيه بحذف (الأداة والوجه) للمبالغة في شجاعته في الحروب، وقوته وجرأته وسيادته حتى صار كأنه أسد حقيقة، وشموله لجميع صفات الأسد و"المبالغة والإيجاز، لأن حذف الأداة يفيد أن المشبه عين المشبه به ادعاء،

حسن نور الدين/٩٤، طـ دار الكتاب الحديث، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م البتول: القطع.. البتول من النساء المنقطعة عن الرجال لا أرب لها فيهم.. وقيل: هي المنقطعة إلى الله عز وجل عن الدنيا، وقيل: المبتلة: التامة الخلق. اللسان مادة (بتل).

(١٦٢) الشريف حياته وشعره ٢/ ٩٣.

(١٦٣) اللسان مادة (حدر) ٢/ ٣٥٨، وينظر: الأسماء العربية معانيها ومدلولاتها ص/٩٤.

وحذف وجه الشبه يجعل النفس تذهب في وجه الشبه كل مذهب وينبئ عن الشمول في الصفات"[١٦٤]، ونكر (حيدر) للمبالغة والتعظيم.

والتشبيه أوحي بمدى الاعتزاز والفخر بهذا النسب الشريف حيث أن الشاعر يُعد من هذه السلالة العظيمة، ويبين مدى قبح ما فعله بني أمية حينما أقبلوا على قتل عبد الله بن الحسين -رضي الله عنهما- وسوءة صنيعهم، واستنهاض الهمم، لذلك دعا الشاعر إلى الأخذ بثأره.

ويمكن أن يكون قوله: (والدي حيدر) كناية عن الشجاعة والسيادة والملك. ومراعاة النظير بين (أبي وأمي) قد ساعد وساهم على بيان التشبيه والتناسب والتلاحم بين الكلمات، كما يوجد بها[١٦٥] سجع وموازنة أدت إلى التناغم الموسيقي.

ومما جاء في مقام الرثاء عند الشاعر رثاؤه لأبي الفتح الخليفة الطائع لله يعزيه ويمدحه، وكان التشبيه بالأسد مظهرًا لمدى القهر والغلبة والصلابة وعدم الضعف للممدوح فيقول في قصيدة بعنوان: (العيون تجانب الأقذاء) أو (أنعاك الخيل المغيرة) سنة ٣٩٠ [١٦٦].

هذا أميرُ المؤمنينَ وظلُّهُ ∴ يسَعُ الورى ويجلِّلُ الأحياءَ

نظرتْ إليه من الزمان مُلِمَّةٌ ∴ كالليث لا يغضي الجفونَ حياءَ [١٦٧]

---

(١٦٤) البيان في ضوء الأساليب العربية د/ عائشة فريد/ ١١٨، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٠م.

(١٦٥) السجع هو: اتحاد الفاصلتين من النثر في الحرف الأخير منهما ينظر: الألوان البديعية د/ حمزة الدمرداش/ ١٤٣ ط١، ط دار الطباعة المحمدية ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م، وينظر: جواهر البلاغة/ ٣٥١.

(١٦٦) الديوان ١/ ٢٣.

(١٦٧) ملمة : مصيبة، اللسان مادة (ململ)، وتشبيه الخليفة بالأسد الثابت في العجز إشارة إلى أن المصيبة لم تنل من عزمه. هامش الديوان.

في تلك الأبيات يمدح الشاعر -الخليفة الطائع لله- بعظيم الصفات كالسيادة والكرم والشجاعة والصلابة، وعدم الضعف.

ولقد أضفى الشاعر على ممدوحه مما يلائم حالته من الصلابة والعزيمة والإرادة، بما يلائم ذلك من أحوال الأسد.

فشبه هيئة المصيبة التي أصابت الخليفة وهي فقدان عزيز لديه وهو ابنه، وأنه قاوم تلك المصيبة ولم تؤثر فيه ومدى جلدته، بهيئة الليث الذي لا يستهان به حتى وقت نومه.

وتأتي بلاغة الشريف بهيئة الليث الذي لا يغضي الجفون حياء في خدره بل يكون شجاعاً -أيضا- ووجه الشبيه الهيئة الحاصلة من الصلابة وعدم الضعف والخنوع وقوة المقاومة في كل. واختار الكاف لدلالتها على المقاربة بين الطرفين ونكر قوله: (ملمة) للدلالة على عظمها وشدتها.

وتأتى بلاغة الشريف في اختياره للفظ (الليث) من بين أسماء الأسد، للدلالة على أن المقام مقام يستدعي التجلد والصبر والقوة .

ومما ورد من الرثاء عند الشاعر حينما خلع الطائع لله، فحزن الشريف الرضى لذلك، ونظم هذه القصيدة التي يذكر فيها أيامه ويرثيها ويتوجع له مما لحقه، ولقد استطاع التصوير بالليث ومكانه في تصوير ما كان يتمتع به هذا الخليفة من مجد وشجاعة فيقول في قصيدة بعنوان: "سقوط طود وزوال ملك"(١٦٨):

إن كانَ ذاك الطودُ خَرَّ، فبعد ما ... استعلى طويلا

موفٍ على العِلَلِ الذواهبِ ... في العلى عرضاً وطولا

قِرْمٌ يسدِّدُ لحظَه ... فترى القرومَ له مثولا

---

(١٦٨) الديوان ٢/ ١٧٤.

ويـــــرى عزيـــــزاً حيـــــث حـــــ ∴ ـــــــلَّ، ولا يَـــــرى إلا ذلـــــيلا

كاللَّيـــــــــــثِ إلا أنـــــــــــه ∴ اتخـــذَ العلـــى والمجـــدَ غـــيلا [١٦٩]

وعـــــــلا علـــــــىَ الأقـــــران لا ∴ مـــــــثلاً يُعَـــــــدُّ ولا عـــــــديلا

في هذه الأبيات يصور لنا الشاعر لحظة "القبض علـى الطـائع لله، وكـان الرضى في مجلسه، ورأى بعينه كيف ينتهي العز إلى الذل، وكيف تتقلـب الأيـام بالناس،... ويعبر عن لوعته لما حدث للخليفة... وقد أثرت الحادثة في نفسه أثرًا بالغًا، ... وتمضي السنون ويلحق الطائع بربه... فيرثيه الرضى في وقت خرست فيه الألسنة وقويت فيها شوكة بهاء الدولة خالعه"[١٧٠] . "وآذاه أن يرى الطـائع مخلوعاً يعيش على هامش الحياة، بعد أن كان بالأمس خليفـة يبـرم ويـنقض، ويعطي ويمنع"[١٧١]. فقال[١٧٢]:

ويـــــرى عزيـــــزا حيـــــث حـــــ ∴ ل، ولا يـــــــــرى إلا ذلـــــــــيلاً

كالليـــــــــــث إلا أنـــــــــــه ∴ اتخـــــذ العلـــــى والمجـــــد غـــــيلا

شبه الطائع بالله بـ(الليث) بجامع القوة والشجاعة والجرأة ورباطه الجأش في كل، وكان هذا التشبيه قديمًا متوارثًا، ولكنَّ الشاعر حول هذا التشـبيه مـن القريب المبتذل، إلى البعيد الغريب بهذا التفضيل في قوله: (إلا أنه اتخـذ العلـى والمجد غيلا) بأن الخليفة الطائع اتخذ العلى والمجد مكانا له، أي مكانا يأوى إليه ويحبه ويألفه.

ولقد ساهم التشبيه بالأسد ومكانه في نقل ما كان يتمتع به الخليفة الطـائع من علاء ومجد وشجاعة وعزة وإباء، وتصوير تلك الصفات بصورة محسوسة.

---

(١٦٩) الغيل: بالكسر الأجمة والشجر الملتف المفضليات/ ٣٥.
(١٧٠) الشريف حياته وشعره/ ١/ ١٢٠.
(١٧١) محمد عبد الغني/ ١٤٩.
(١٧٢) الديوان ٢/ ١١٤.

وفي هذا دلالة على مدى انتشار مجده وعلاه لدرجة أن مكانه يشاركه في تلك الصفات فالمجد والعلي هما اللذان يحميانه وليس المكان.

كمثل الأسد الذي يكون بداخل غيله، فإنه يكون أكثر شراسة، ولذلك عبر بـ(غيلا) على وزن (فعيلا) للمبالغة في القهر والمتعة والعزة.

ويمكن أن يكون قوله: (إلا إنه اتخذ العلي والمجد غيلا) كناية عن الشجاعة والعزة والإباء.

ولقد ساعد (مراعاة النظير) في قوله: (الليث والغيلا) لأنهما متناسبان، فهما من واد واحد، وكذلك قوله: (العلي والمجد) بينهما تناسب. وقد ساهم مراعاة النظير في إيضاح التشبيه وبيانه والتأكيد عليه.

وقد اجتمع كل من التشبيه والكناية ومراعاة النظير، فالنكات البلاغية تتعاضد وتتداخل ولا تتعارض.

ومما جاء في رثاء الماضيين وكان للتشبيه بالأسود في أماكنهم ومدى شراستهم، والعزة والإباء والشجاعة، في رثائه لأبي الفتح عثمان بن جني النحوي ببغداد مساء الجمعة لليلتين من شهر صفر سنة ٣٩٣، وكانت تربطه بالشريف مودة متينة، وصلى عليه قبل دفنه، حينما بدأ قصيدته بالتذكير بالماضيين في قصيدة بعنوان (مضى طيب الأردان) فقال(١٧٣):

فأين الملوكُ الأقدمون تساندوا ∴ إلى جذم أحسابٍ كرامِ المعارقِ (١٧٤)

بها ليلُ منَّاعونَ للضَّيم أحسنوا ∴ بلاءهم عند النصول الذوالقِ (١٧٥)

عواصبُ بالتيجانِ فوقَ جماجمٍ، ∴ وضَّاء المجالي واضحاتُ المفارق

---

(١٧٣) الديوان ٢/ ٦٠.

(١٧٤) الجذم: الأصل، بهاليل: أسياد، اللسان مادة(جذم)، ومادة (بهلل).

(١٧٥) الذوالق: اللماعة، القاطعة، اللسان مادة (ذلق).

إذا رثموا المسك العرانينَ خلتَهم ∴ أسودَ الشرى سافتْ دماً بالمناشقِ [١٧٦]

الشريف يذكر بالماضيين وكيف كبهم الموت على أذقانهم"[١٧٧].

فمدح هؤلاء الملوك بعراقة الأصل، والسيادة والكرم، والجمال، والشجاعة، والعزة والإباء، وكان للتشبيه بالأسد مكانةٌ دورٌ كبيرًا في بيان ما كان يتمتع به هؤلاء الملوك من شجاعة، وعزة، وإباء فقال:

إذا رثموا المسك العرانين ∴ خلتهم أسود الشرى سافت دما بالمناشق

فشبه هيئة هؤلاء الملوك عندما يلطخوا هذا المسك بأنوفهم فأصبحت حمراء، بهيئة الأسود التي يزينها الدم، ولكن لم يرد أن يشبههم بمطلق أسود ولكن قيدها بكونها (أسود) بالإضافة للدلالة على قوة الافتراس وشدة شراستها، وكثرة فرائسها، لدرجة أن أنوفها ملطخة بالدماء والتشبيه التمثيلي أكد على شجاعتهم، لأن المسك يزينهم كما يزين الأسود الدم، لأنه دليل شجاعتها وقوتها.

"فالتمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها"[١٧٨]، "أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفى إلى جلى، وتأتيها بصريح بعد مكنى، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به المعرفة أحكم نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو

---

(١٧٦) رثموا: لطخوا، عرانين: عرانين كل شيء أوله، والعرانين الأنف كله.. وعرانين الناس وجوههم، وعرانين القوم سادتهم وأشرافهم، اللسان مادة (عرن) سافت: شمت، اللسان مادة (سفت).

(١٧٧) الشريف حياته وشعره ٢/ ١٠٨.

(١٧٨) أسرار البلاغة ١٢٧.

المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام" (١٧٩).

وعبر بالأداة (خلت) للدلالة على التخييل وعدم التأكد، وذلك لأن الشاعر لم ير هؤلاء الملوك على سبيل الحقيقة، بل اعتمد على السماع، وهذا ما دفعه إلى أن يعبر بـ (خلت).

والشاعر لم يقصد باللون الأحمر حقيقة اللون، وإنما قصد جودة المسك، وقوة الافتراس .

وخص (عرانين): ذلك لأن بها الشم، وكذلك لأنها هي التي تتقدم الوجوه، وكذلك هؤلاء الملوك يتقدمون على غيرهم من الناس، وكذلك إشارة إلى العزة والإباء والشجاعة.

فانظر كيف استعان بالتشبيه-بالأسد ومكانه-للتعبير عن شجاعة الماضيين، وقوة بأسهم وشراستهم، لينقل لنا ما يتصف به هؤلاء من شجاعة وعزة وإباء.

ومما ورد من الفخر بقومه عند الشاعر وكان التشبيه بالأسد ومكانه إشارة إلى قوة الافتراس، حينما رثى أبو حسان أمير عقيل وقد قتله غلمان داره بالأنبار غيلة ليلاً، وذلك في شهر صفر ٣٩١ وتقدم له مرثية في حرف الدال من هذا الديوان فيقول في قصيدة بعنوان (بعد الطيب العيش بعدكم) (١٨٠):

فإن لم تزْل نفسي عليكَ، فإنها ∴ ستنفدُ أنفاساً حراراً وأدمعا

فيا لائمي اليومَ لا صبرَ بعده ∴ فطيراً بأعباء الملامةِ أوقعا

ثم يفتخر فيقول(١٨١):

من القوم طاروا في الفلا كل طيرة، ∴ ومدوا إلى الأحساب بوعا وأذرعا

---

(١٧٩) أسرار البلاغة ١٣٧.
(١٨٠) الديوان ١/ ٥٧٩ .
(١٨١) المرجع السابق ١/ ٥٧٩.

إذا لبســوا الــريط اليمــاني، وأقبلــوا ∴ يجــرون منهــا الشــرعبي [١٨٢] المضــلعا

حســبتَ أســودَ الغــابِ رُحْــنَ عشــيةً ∴ تخــال بهــنَّ البــابليَّ المُشَعْشَــعا [١٨٣]

هذه الصورة التي صورها الشاعر يعلوها الترف والنعيم والظفر والانتصار على الأعداء والإعجاب والإحمرار في كل، حيث شبه هيئة قومه إذا لبسوا الريط اليماني ويجرون وراءهم البرود المخططة المائلة للحمرة، زهوًا بانتصارهم على الأعداء بهيئة الأسود الذين يسكنون مكانهم المحبب إليهم وهو (الغــاب) وذلــك (لشدته وقوته في ذلك المكان)، ورجعوا إليه وقت العشية بعد افتراشــهم وظهــر على لبدتهم أثر الافتراس، وهي الدماء، ثم زاد في تفصيل المشبه بــه، فأضــاف إليه صورة أخرى وهي لبسهم الريط البابلي المشعشعا، وهو أن هذه الدماء التي ظهرت على لبدتهم وقد ظهرت بفرائسها وهو عشاؤها، وظهر على المكان أثــر الدم، تشبه الخمر في رقتها واحمرارها.

ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من الشجاعة وقوة الافتراس في كل، ولقد ساهم التصوير لمكان الأسد وهو (الغاب) في رسم شجاعة هؤلاء ومدى قــوتهم وشجاعتهم وتفوقهم.

وعبر بــ(حسبت) و(تخال) لأنهما للشك، في مشابهة هــذا بــذاك، أو بعــد المشابهة.

---

(١٨٢) الشرعبي: نوع من البرود، اللسان مادة (شرعب)، الريط: كل مــلاءة ذات لفقين كلها نسيج واحد، وقيل كل ثوب لين رقيق والجمع ريط ورياط، اللســان مادة (ريط)، اليمن: اليمنة واليمنة ضرب من برود اليمن اللسان مادة (اليمن).

(١٨٣) بابل: موضع بالعراق، وقيل: موضع ينسب السحر والخمر. اللسان مــادة (بابل) الشعشع.. الحس الخفيف اللحم.. وقيل الشعشاع الطويل وقيل: الحســن اللسان مادة (شعشع).

الغاب: الأجمة التي طالت ولها أطراف باسقة: والغابــة الأجمــة.. الغابــة: الأحمة ذات الشجر المتكاتف، لأنها تغيب ما فيها.. اللسان مادة (غيب).

فانظر إلى اختياره للزمان واللون والمكان والشكل ليصل إلى رسم شجاعة هؤلاء ومدى قوتهم وشجاعتهم ومدى سيادتهم وترفعهم.

ولكن الشاعر أراد أن يفتخر بقومه، فالصورة يخيم عليها الترف والنعيم والإحمرار، ولكن منظر رجوع الأسود في العشية وعليها آثار الدم، مما يبعث على الاشمئزاز، والخوف والرهبة، ولكن الشاعر أراد أن يفتخر بهؤلاء القوم ومدحهم بالسيادة والترف، وكذلك الشجاعة وكان من متطلبات الشجاعة أن تظهر على أجسادهم، فالدم أثر من قتلى الأعداء فالدم رمز للشجاعة.

ولقد وظف الشاعر حالة من حالات الأسد وهي حالة ترقبه والإصغاء لإظهار شجاعة ذلك المرثي وهو أبو حسان أمير عقيل وقد قتله غلمان داره بالأنبار غيلة ليلا، وذلك في شهر صفر ٣٩١ بعنوان (أمير عقيل) أو (بعد الطيب العيش بعدكم) فيقول(١٨٤):

كأنك تلقى وجهَهُ البدرَ طالعا ∴ إذا ابتدر القومُ الرواقَ المرفقا

فإن ألهبتْ فيه الحفيظةُ خلتَهُ ∴ وراءَ اللثامِ الأرقمَ المتطلعا (١٨٥)

يقوم اهتزازَ الرمحِ خبَّتْ كعوبُه، ∴ ويقعد إقعاءَ ابن عيلٍ تسمَّعا (١٨٦)

رثى الشاعر أمير عقيل بجميل الصفات من الجمال، والعزة ورفعة الشأن، والهيبة وشدة الإيذاء، والشجاعة والترقب والترصد في كل.

فقد صور شجاعة وترصد المرثى للعدو بصورة تشبيهية جميلة، فقد شبه الرماح المطردة الصحيحة التي يستعملها عند قتال أعدائه حين ترقبه لعدوه

---

(١٨٤) الديوان ١/ ٥٨٠ .

(١٨٥) الأرقم: الحية القاموس المحيط مادة (رقم).

(١٨٦) خبت كعوبة: اضطربت. ابن عيل: الأسد "أعال الذئب والأسد والنمر يعيل إعالة إذا التمس شيئا" اللسان مادة (عيل).
إقعاء: الذئب والكلب يقعى كل واحد منهما على إسته، وأقعى الكلب والسبع جلس على إسته... مفترشا رجليه وناصبا يديه/ اللسان مادة (أقعى).

بصورة الأسد الذي يقعد على إسته ترقبًا وترصدًا ومصغيًا لفريسته، ووجه الشبه هو قوله: (تسمعا) والحركة والتلمس والإصغاء في كل.

ويمكن أن يكون شبه حركة اضطراب الرمح واهتزازه بحركة الأسد حينما يقعد على رجليه ترقبا وترصداً للفريسة بجامع الاهتزاز والترقب في كل.

وهذا التشبيه محذوف الأداة ليدل على شدة الاتحاد بين الطرفين. هذا التشبيه يوحي بمهارة هذا الشجاع ومدى إجادته لاستخدام الرماح التي تحقق له الفوز في المعارك.

وهذا التشبيه يوحي بالثبات والارتفاع وعدم الحركة.

ولقد ساهم التصوير بالشكل والحركة والسمع في تجسيم ما يتمتع به ذلك الشخص من الشجاعة. وتحس ببلاغة اختيار الألفاظ عند الشريف الرضي حيث إنه اختار من بين أسماء الأسد (ابن عيل) لأنها تلائم هذه الصورة من حيث أن من يتلمس شيئا يكون في حالة إصغاء وترقب، "وأعال الذئب والأسد والنمر يعيل إعالة إذا التمس شيئا، والعيل منهن المتلمس "الباحث"[١٨٧].

وكذلك تعبيره بـ(تسمعا) دون (ترقبا) للمبالغة في الإصغاء والبحث عن فريسته، وهذه الحالة تتطلب أن يكون أكثر إصغاء وتصنتاً للفريسة، وأن المرثى لا ينتظر حتى يهاجمه عدوه، بل هو الذي يبدأ بالهجوم"[١٨٨].

فانظر كيف استطاع تجسيم صورة الأسد وهو قاعد على إسته لينقل لنا صورة جميلة يخيم عليها السكون والترقب. ومدى "وفاؤه لمن يرثيهم وتحسره على فقدهم"[١٨٩].

---

(١٨٧) اللسان/ مادة "عيل" .
(١٨٨) الطبيعتان ١/ ٤٣١.
(١٨٩) محمد عبد الغني/ ٧١.

ومن استعانته بالتشبيه بالأسد في مقام الرثاء للتعبير عن الشجاعة والجرأة والرهبة والأصالة والقدم، ما قاله في مقطوعة بعنوان (لبيك) حيث يقول(١٩٠):

أقـــــول لبيـــــكَ، ولم تنـــــادِ، ∴ مـــا أوقـــع المـــوتُ علـــى الجَـــوَادِ
مـــا كنـــتَ إلا حيَّـــةً بـــوادٍ، ∴ وأســـداً علـــى العـــدوِّ عـــادِ (١٩١)

"كانت للرضى ثلة كبيرة من الأصدقاء"، ودلت على ما بينه وبينهم من صلات، وما أتصفت به صداقتهم من ود وإخاء، وتضحيات، ووفاء.. وكان الرضي يرى الصديق بعين المحب، ويحسه أخًا لم تلده أمه يسري عنه، ويدفع عنه السوء فيقول(١٩٢):

رب أخ لم تلـــــــده أمـــــــي ∴ ينفـــي الأذى ويجلـــو همـــي (١٩٣)

فشبه الشاعر صديقه وهو (أبو داود) فالتاء راجعة عليه في قوله: (كنت) والمشبه به الحية، والأداة محذوفة تقديرها (الكاف) أي "كحية" ووجه الشبه: هو الدهاء "وشدة شكيمته حامي لحوزته" (١٩٤).

ولكن الشاعر لم يرد أن يشبه صديقه بمطلق حية، وإنما قيدها (بواد) للدلالة على شدة التخفي لأنها في تلك المكان تكون أكثر إيذاء وعدم استقرار، وكان نهاية في الدهاء والخبث والعقل"(١٩٥).

---

(١٩٠) الديوان ١/ ٣٨٠.
(١٩١) الحية: الحنش المعروف اللسان مادة (حى).
عاد: العادي الشيء القديم نسبة إلى عاد، وعاد قبيلة وهم قوم هود –عليه السلام– اللسان مادة (عاد).
(١٩٢) الديوان: ٢ / ٣٢٤ .
(١٩٣) الشريف حياته وشعره ١٥٩/٢.
(١٩٤) ينظر: اللسان ٢/ ٦٩٨ "بتصرف".
(١٩٥) المرجع السابق ٢/ ٦٩٨.

فهذا القيد قد وضح المعنى وأجلاه في أحلى صورة، وكان هذا التشبيه مؤكد مجمل للدلالة على المبالغة في الاتحاد بين الطرفين مع الإيجاز، ولتذهب فيه النفس كل مذهب ثم نكر (حية) للدلالة على المبالغة في شدة دهائه، وشدة شكيمته، ولمشاركة صديقه للحية في جميع صفاتها من شدة الشكيمة والخبث والدهاء وشدة التوقد، دون الاقتصار على صفة معينة، ولقد أكد على شدة شكيمة صديقه بالقصر (بما وإلا) أي (ماحية إلا أنت).

ثم عطف على هذا التشبيه تشبيهاً آخر مقيداً ، وهو تشبيه صديقه بالأسد ووجه الشبه هو الشجاعة والجرأة ورباطة الجأش في كل، ولكنَّ الشاعر لم يرد مطلق أسد، بل قيده بالجار والمجرور والوصف، فكان يسانده وقت المعارك والحروب وهذا التشبيه –أيضاً– مؤكد مجمل– للدلالة على الاتحاد بين الطرفين والمبالغة مع الإيجاز في الترهيب والتخويف. ونكر (أسد) للمبالغة والتعظيم.

في قوله: (على العدو عاد) حيث أفاد أنه متى يكون شجاعاً حقاً حينما يقاتل عدوه، فتكون شجاعته أظهر وأطلب، وأفاد الوصف بأنه شجاعاً متمرساً قديماً في الشجاعة فتكون شجاعته أقوى وأبين، وهو يغلب أعدائه عن مهارة وممارسة والقصر بالتقديم أفاد الاختصاص.

ويوجد تشبيه جمع حيث شبه المشبه بأكثر من مشبه به للإيجاز والقدرة على التخييل.

ولقد ساهم مراعاة النظير بين (حية أسد) والجناس (عدو وعاد) على الصورة البيانية، مع التناغم الموسيقي والعمل على الترابط وإبراز التناسب بين الكلمات.

ومما جاء عند الشاعر من التشبيه بلبدة الأسد للإشارة إلى العزة والمنعة والملازمة في رثائه لأبي العوام، الذي كان "منوطا به، من تحقيق الآمال على يديه، ويفصح عن حنق شديد على تميم، أقلق النوم في جفنيه وأيقظ الأضغان في

قلبه"[١٩٦] وهذه الحوادث تجعل ابن ليلى شاخصًا أمامه دائما يتذكره في كل ما يمر به.. حتى يقعده اليأس أن يجد من يخلفه"[١٩٧]. فيصور شجاعته وعزته ومنعته.

فيقول في قصيدة بعنوان "عز كلبدة الضرغام"[١٩٨]:

ولا عَـــودا مـــن الأحســـابِ يُمْســـي ∴ نفـــي اللـــيطَ مـــن عقـــدِ الوصـــومِ [١٩٩]

فكـــان كلبـــدةِ الضـــرغامِ عِـــزًّا، ∴ إذا ذلَّ الموقَّـــــعُ للخصـــــومِ [٢٠٠]

في تلك الأبيات يرثي الشاعر -أبا العوام- بعظيم الخصال من الشـجاعة والعزة والمنعة، وكان بمثابة الناصر والمعين له، فكان لابد وأن يضفي عليه من حالات الأسد وتوظيف أحد أعضائه وهي (اللبدة)، للتعبير عما كان يتمتع به مـن عزة ومنعة وشجاعة، فشبه الشاعر أبا العوام في قوله: (فكان) الراجع إليه مـن خلال سياق الكلام، (بلبدة) وليس المقصود مطلق (لبدة)، وإنما مقيدة بقيد وهـو الإضافة في قوله: (لبدة الضرغام) أي الأسد الشجاع الوثاب فتكون لبدتـه أكثـر هيئة ومنعة وعزة، لما عليها من الدم المتجمع على اللبدة مما يدل علـى كثـرة فرائسه، وأنه يرهب بها فريسته، ووجه الشبه هو المنعـة والعـزة والشـجاعة والملازمة في كل، والأداة (الكاف) للدلالة على قرب المشابهة بين الطرفين[٢٠١]، فكأن لبدة الأسد هي لبدته حقيقة.

---

(١٩٦) الشريف حياته وشعره/ ١/ ٢٠٣.

(١٩٧) المرجع السابق ص٣٠٤.

(١٩٨) الديوان ٢/ ٢٨٢.

(١٩٩) الليط: قشر القصب اللازق به وكذلك ليطُ القناة.. الليطـة قشـرة القصـبة والقوس والقنانة وكل شيء له متانة اللسان مادة (الليط).

(٢٠٠) اللبدة: اللام والباء والدال كلمة صحيحة تدل على تكرس الشيء بعضه فوق بعض من ذلك اللبد.. والأسد ذو لبدة، وذلك أن قطيفته تتلبد عليه لكثرة الـدماء التي يلغ فيها مقاييس اللغة، ٤/ ٢٢٨، ٢٢٩.

(٢٠١) بيان التشبيه/٣١٥.

ربما قيل: إن هذا التشبيه قديم متوارث متبذل لا جدة فيه، لكنَّ الشاعر قد أزال هذا الابتذال بصدق عاطفته الجياشة، وكذلك بالجملة الشرطية في قوله: "إذا ذل الموقع للخصوم" ونجد أنه قدم جواب الشرط في قوله (فكان كلبدة الضرغام عزا" على الشرط في قوله: (إذا ذل الموقع للخصوم"، للاهتمام ولجذب الانتباه، وليوضح أن شجاعته تكون أظهر وعزته ومنعته حينما يذلك خصومه، فحينئذ تكون شجاعته ومنعته أظهر، ولذلك استخدم (إذا) الدالة على التحقيق واليقين.

ولذلك كان مقصد لكل من يقصده، ويزيل الذل عنه.

فهذا "يصور الخصوم بصورة غير مستحسنة.. وهذا يشمل الصفات التي تتنافى مع صفات البطل الحقيقي، ويصور العدو بصورة من لا شهامة عنده ولا مروءة"(٢٠٢).

---

(٢٠٢) الطبيعتان/ ٦٧٩ "بتصرف".

المبحث الثالث
الفـخـر والشكـوى

لقد كان الشريف شديد الفخر بآبائه دائب الإشارة إلـى تـاريخهم الحافـل بعظائم الأمور، وجلائل الأعمال كثير التحدث بما له من مضاء العزيمـة، وعلـو الهمة، وبعد المطامح.. أما الأمنية القصوى التي ما فتئت تشغل ذهنه وتأسر لبه، وتحتل المكان الأول من قصائده فهي إثارة حرب شـعواء .... ، وتحـل معاقـد التيجان، وتقيم صراحة دولة الحق على أنقاض الباطل"(٢٠٣).

في تشبيهات الفخر تسيطر "عاطفة العجب والفرح والتعالى، وتثيـر هـذه العاطفة تشويه القصر، أو الثورة"(٢٠٤) بسبب الغضب، أو الشعور بانتقاص مـن كرامته.

كما يفخر البطل بأنه أخو الحرب، ومدّرب عليها، يثيرهـا ويلهبهـا، يـديم الغارات، ويقود الخيل الجامحة"(٢٠٥).

فاستعان الشريف بالتشبيه بالأسد للتعبير عن "اعتداده بالفروسية، ووصفه للهجمة البكر، والغارة الشعواء، والفرسان المغاوير، والخيل الضامرة الأصـيلة، ونجد في كثير من الفخريات لوحات متكاملة وهو يقود الفرسان، ويفتك بالأعداء ويرجع ظافرًا، ولم يعرف الرضى بحرب ولم يخص معركة وإنمـا هـي أحلامـه بنفس عن نفسه بتصويرها، ويغرق في .... مريح، وهو يعيش هذه المعارك فنيا، ويصحب هؤلاء للفرسان في أحلامه"(٢٠٦).

---

(٢٠٣) في الشعر العباسي /٤٢٦.
(٢٠٤) المرجع السابق/ ٦٩١.
(٢٠٥) المرجع السابق /٥٩٩.
(٢٠٦) الشريف حياته وشعره ١٢٤/٢ وما بعدها.

الفخر بنفسه وفرسانه:

لقد استعان الشريف الرضى بالتشبيه بالأسد ليصور نفسه بطلاً "يخوض الغمرات، ويصارع الأهوال، مستغرقا في حلم اليقظة بكل كيانه الطامح، المتحمس في طلب العلا والمجد، والغايات العظام، في شكل نقابة، أو خلافة، أو إمارة حج، يكون أقوى حماسة إذا مس طامحه بسوء، وهددت أماله بالخطر"(٢٠٧).

ولكن هذا " لا يثنيه عن أمله فهو أخو الوغى والندى، رضيع المعالي، وهو يرقب اليوم الذي تلتف حوله مضر، وتسيل قبائلها من أمامه" (٢٠٨) فاستطاع من خلال التشبيه بالأسد أن يعبر عن تلك المعاني جميعها.

فهو يفتخر بنفسه أثناء وصف الأسد لإثبات (شجاعته الجسدية والمقدرة القتالية ، يعنى الصراحة والجرأة وقوة العناد والتحمل) (٢٠٩).

فأثبت حدة سيوفه، ورماحه القاطعة، ومحاربة الدهر، ومقدرته على مقاومتها، وكثرة القتلى، والاستعداد للقتال، مع شدة الهجوم وعدم قبول الذل.

فأثبت لنفسه العزة والإباء، والعزيمة والإرادة ومدى تفوقه في قيادته لفرسانه مع شجاعته وهيبته وغلبتهم، وشدة هجومهم، وقوة عزيمتهم ومضائهم، وجرأتهم، وعدم قبولهم الذل، وترهيبهم لأعدائهم، وتطلعهم ومن مقام الفخر التشبيه بالأسد للتعبير عن عزة الشاعر، وكبريائه، وإبائه ، من خلال الافتخار، ويذكر غرضاً من الأغراض، وهو ضيق صدره بأمر النقابة وما يتكلفه من التشدد وإقامة الهيبة، فيقول في قصيدة بعنوان: (ولي أنف كأنف الليث) (٢١٠):

وأنظُرُ سُبَّةً وعظيمَ عار ∴ رضايَ من المنازع بالكفافِ

---

(٢٠٧) الحماسة ص٢٠٠، ٢٠١.
(٢٠٨) الشريف حياته وشعره ١١٦/٢.
(٢٠٩) الصورة الفنية في شعر دعبل ص/٣٣٣ .
(٢١٠) الديوان ١٤/٢.

ولـــو أنـــى رميـــتُ أصـــابَ ســـهميً ∴ ولكـــني أُنقِّـــبُ عـــن شـــغافي [٢١١]

فمـــا ســـهمي الســـديدُ مـــن النـــوابي ∴ ولا بـــاغي الطويـــل مـــن الضِّـــعَاف

ولـــي أنـــفٌ كـــأنفِ الليـــثِ يـــأبى ∴ شميمـــــي للمذلـــــةِ واســـــتيافي [٢١٢]

وقـــد عـــرف العـــدى وبلـــوا قـــديماً ∴ خُطـــــــاي إلى المنايـــــــا وازدلافي

"عندما صرف الشاعر عن النقابة فعلاً، فيلح عليه شعور عنيف من مشاعر الكبرياء والأنفة والإباء"[٢١٣] كما أن هذا البطل "مستعصم بأخلاق الفرسان، تتعالى نفسه إباء، يحب الخيام لبعدها عمن يتحكم في أهلها .... وهو لا يطيق الذل، بـل أنفه ليأبى شميمه"[٢١٤] فيقول[٢١٥]:

ولـــي أنـــف كـــأنف الليـــث يـــأبى ∴ للمذلـــــة شميمـــــي واســـــتيافي

فصور الشاعر معاني العزة والكبرياء والإباء وعدم إطاقته للذل، فتطـرق إلى ما يناسب عاطفته التي يشعر بها من الزهو والافتخار بعزته وكبريائه، فلـم يجد سوى الأسد.

فشبه أنفه (بأنف الليث) ووجه الشبه هو العزة والكبرياء والإباء في كـل، ويمكن أن يكون قوله "يأبى شميمي للمذلة واستيافي) هي الوجه، وذلك لأن (أنف الليث) يضرب به المثل في العزة والكبرياء والإباء، وذلك لأن الأنف "جمع أنوف وهو الذي به أنفة ونخوة فإنا لا نقبل الضيم"[٢١٦].

---

(٢١١) شغافي: غلاف قلبي أو حجابه اللسان مادة (شغب).
(٢١٢) الشمم: حسن الأنف شميمته، الشمم في الأنف ارتفـاع القصـبة وحسـنها واستواء أعلاها وانتصاب الأرنبة اللسان مادة (شمم).
(٢١٣) الحماسة في شعر الشريف ص /٣٠١.
(٢١٤) الشريف حياته وشعره ١٢٥/٢.
(٢١٥) الديوان ١٤/٢.
(٢١٦) المفضليات ٣٨٣، اللسان ٣٤٦/١.

كما أكد على هذا المعنى قوله: (شميمي) لأنها تعني "سيد ذا أنفه والشمم طول الأنف"(٢١٧).

وهو تشبيه محسوس بمحسوس، ليكون أقوى في النفس وأمكن وخص الشريف (الأنف) دون سائر الأعضاء لأنه هو الذي يتقدم الوجوه، كذلك هو متقدم على قومه وأبى وشجاع ويأبى الظلم ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم:١٦] والمبالغة في الذلة والمهانة.

ويمكن أن يكون قوله: (ولي أنف كأنف الليث) كناية عن العزة والكبرياء والإباء والسيادة.

ثم يفصل المشبه به ليؤكد لنا جانبًا من جوانب المشبه وهو التأكيد على العزة والإباء في قوله: (يأبى شميمي للمذلة واستيافي) فهذا السلطان مهما كانت قوته وسطوته فهو لا يذل ولا ينحني له، وأنه يفضل الأسد في استواء أنفه وحسنه وطوله وجماله، ويمتلك سيفه البتار الذي يستطيع أن يقضي به على الظلم.

كما يقول صاحب كتاب الحماسة عن ذلك بأن "شعوره بالعزة والأنفة والكبراء يكاد يطغى على شعره في هذا الجانب حتى يبدو وكأن هذا الشعور قد ولد معه ولا يتكلفه"(٢١٨).

وإن كان الشريف قد قلل من قيمة المبالغة في التشبيه بذكر الأداة والوجه؛ لأنه أثبت قرب التشبيه وكان الأحسن حذفهما، ولكن ربما أراد الشريف ذلك لأن ذلك مما يلائم عاطفته المفعمة بالعزة والكبرياء، والفخر والإحساس بالعظمة

---

(٢١٧) اللسان ١٩٨/٥ .
(٢١٨) الحماسة /١٩٨.

والتفوق، شيء ظاهر وواضح لكل أحد غير خفي، كما يلاحظ تزاحم الصور البيانية عنده من تشبيه واستعارة وكناية مما يدل على خياله الخصب والواسع.

ومن المبالغات الجامحة والحماسية التي زهى بها الشاعر وتغنى بها شجاعته وقوة عزيمته ومضائه وإرادته، بالرغم من ظلم الناس، ونكبات الدهر، وقلة ماله"[٢١٩] وكان التشبيه بالأسد جزءاً أصيلا للتعبير عن تلك المعاني ما جاء في قصيدته بعنوان (لولاك) قالها في مدح أبيه حيث يقول[٢٢٠]:

أنا الأسد....الخ

في تلك الأبيات السابقة نجد أن الشريف تخيم عليه روح الجزع بسبب ظلم الناس، وقلة ماله، وبسبب وقوف الدهر عائقاً بينه وبين تحقيق آماله وطموحه رغبة في العلا والمعالي والمجد، ثم ثار بعد ذلك مستخدماً التشبيه بالأسد، للتعبير عن شجاعته وعزمه ومضائه، ودقة سيفه وكونه قاطعا في صورة يخيم عليها المبالغة والاعتداد بالذات فيقول: ومفتخرا بنفسه، ومتحديا للصعاب حتى بلغ ما يتمناه والاعتداد بالذات حيث يقول جازعًا[٢٢١]:

فأين من الدهر استماع ظلامتي ∴ إذا نظرت أياميه في المظالم

فهل نافعي أن ينصر المجد عزمتي ∴ على هذه العلياء، والمال ظالي

ثم يثور فيقول [٢٢٢]:

أنا الأسدُ الماضي على كل فعلةٍ ∴ تمشي شفارُ البيضِ فوقَ الجماجم[٢٢٣]

---

(٢١٩) يراجع الشريف حياته وشعره ١٣٦/٢.
(٢٢٠) الديوان ٣٣٨/٢.
(٢٢١) الديوان ٣٣٨/٢.
(٢٢٢) المرجع السابق ٣٣٨/٢.
(٢٢٣) الماضي: القاطع أراد سيفه المفضليات /٤٣- بيضه: البيضة: الخوذة، الأبيض السيف والجمع البيض اللسان مادة (بيض) والمفضليات /١١١.
شفار: الشفرتان: هما حد السيف الطبيعتان ٤٢٧.

وفي مثلــها أرضــيتُ عــن عزمــي المنــى ∴ وصـــافحتُ أطـــرافَ القنـــا والصـــوارمِ

فشبه الشاعر نفسه في قوله: (أنا) الضمير العائد عليه بالمشبه به (الأسد)، ووجه الشبه هو الشجاعة والجرأة والإقدام، وهذا التشبيه يعد قريبًا مبتذلاً، ولكن الشاعر أخرجه من طور الابتذال إلى الجدة والابتكار من خلال القيد بالوصف الجار والمجرور والإضافة في قوله: (الماضي على كل فعلة) للدلالة على الشجاعة مع العزم المضاء والإرادة، والدلالة على تحقيق كل ما يريده، أياً كان نوع هذا الفعل الذي يريده، لأن الأسد إذا هم وعزم على الافتراس تم له ما أراد ووقع وتحقق، وترى هذا التشبيه يختم عليه روح الزهو؛ والاعتداد بالنفس، والفخامة، لأنه يملك سيفاً قاطعًا وقوياً لدرجة أن هذه السيوف كانت ملقاه على جماجم القتلى، وهذا كناية عن كثرة القتلى.

وهذا التشبيه -أيضا- محذوف الوجه والأداة للدلالة على "الاتحاد بين الطرفين والإيجاز"، وأن سيفه مثله مثل الأسد، ثم فصل المشبه به في الشطرة الثانية بقوله : (تمشي شفار البيض فوق الجماجم) بكونها سيوف قاطعة لدرجة أنها (تمشي) بالبناء للمجهول للتعظيم والتهويل، وها التفضيل يعود على المشبه ويبين جانباً من جوانب المشبه به، ليبين مدى شجاعته وعزمته وقوة إرادته وسيفه، كما نلاحظ أن البيت يخيم عليه الخيال الجامح مع المبالغة الطاغية وملئ بالزهو، والاعتداد بالذات، بالرغم من فقده الأموال وتأتي بلاغة الشاعر في التعبير عن المشبه بضمير المتكلم (أنا) ولم يصرح باسمه لتعظيمه والمبالغة في شهرته وتعظيمه، وعرف المشبه به (الأسد) للدلالة على التعظيم والتعميم، ثم نكر (فعلة) للدلالة على العموم والكثرة والعظم.

= شفر: الشين والفاء والراء أصل واحد يدل على حد الشيء وحرفه من ذلك شفرة السيف: حده، اللسان مادة (شفر) ومقاييس اللغة.

ولقد أشاد الدكتور جميل شلش بهذه المبالغة وجعلها مقبولة ومستساغة بالرغم من مجافاة الواقع لهذا، لما فيها من صدق الشعور حيث يقول: " هذه مبالغة لا تصدق، تدهش القارئ؛ لأن فيها صدقاً شعورياً يغطى على ما فيها من مجافة على واقعة الشخصي، ولكنها مبالغة مستساغة، للواقع المادي، وقد سبق أن نعتناها بأنها نوع من أحلام اليقظة، وتعويض عما يفتقده الشاعر في واقعه المادي. ومبالغات الشريف الرضى في حماسته، كثيراً ما تنسجم مع طموحه البالغ وسعة خياله"[٢٢٤] ومعروف أن المبالغة "هدف من أهداف البيان، وثمرة من ثماره، فيها روعة التصوير وجمال التعبير، مما يؤثر في النفوس، ويهز القلوب، كما أنها تفي بحاجة المتكلم، وتصور ما يجول بخاطره"[٢٢٥].

لقد استعان الشاعر بالتشبيه بالأسد مكانه في الفخر بفرسانه وفتيانه، للتعبير عن الشجاعة والقوة والجرأة والهيبة ورباطة الجأش في قصيدة بعنوان: (خذي أو ذري) أو (النصل المحمود) حيث يقول[٢٢٦]:

لابد أن أحملَ أبناءَ الوغى ∴ على خفافٍ في الطراد ضمرِ
عمائم من التريك وضح ∴ على جلالبيب من السنورِ [٢٢٧]
فكيف بالعيش الرطيب بعدما ∴ حط المشيب رحله في شعري
كأنما فوقَ قطا جيادها ∴ أسودُ خفَّان وجِنُّ عبقرِ [٢٢٨]
من كل ممشوق يجاري ظَلَّهُ ∴ كالطائر الزائفِ في المطرِ [٢٢٩]

---

(٢٢٤) الحماسة ص/٢٢١.
(٢٢٥) لباب البديع د/ محمد حسن شرشر ٧٩.
(٢٢٦) الديوان ٤٣٨/١، ٤٣٩.
(٢٢٧) التريك: بيضة الحديد، السنور: درع جلدي.
(٢٢٨) القطا: جمع قطاة مقعد الرديف من الدابة اللسان مادة (قطا) خفان: اسم مأسدة المفضليات ٤٢٧/٧. عبقر : مكان في البادية كان يعتقد أنه كثير الجن اللسان مادة (عبقر).
(٢٢٩) التمطر : إسراع الطير في هبوطه.

كان الشاعر يريد أن يحقق آماله في بلوغ الخلافة، فكان يتخيل أن يقود الفرسان الشجعان الأقوياء الذين يستطيعون أن يفتكوا بأعدائهم. فعبر الشريف عن تلك المعاني من خلال التشبيه بمكان الأسد فقال:

كأنما فوق قطا جيادها ∴ أسود خفان وجن عبقر

فالمشبه هو (الهاء) في (جيادها) العائدة على الفرسان، لأن الذي فوق الخيول هم هؤلاء الفرسان، والمشبه به (الأسود)، ولكن ليس المراد مطلق (أسود) بل المراد الأسود الكائنة في (خفان) فقيدها بالوصف وهذا المكان مشهور بشراسة أسودها، والقيد أفاد معنى، وهو كثرة فرائس تلك الأسود، وأن هذا المكان قد اكتسب الشجاعة مثل الأسود، وهذا بدوره يؤكد على شجاعة هؤلاء الفرسان وفوزهم بدليل كثرة قتلاهم. ووجه الشبه هو الشجاعة والقوة والجرأة والظفر على الأعداء.

واختار (كأن) للدلالة على المبالغة بين الطرفين[٢٣٠] وقوة التشابه حتى صاروا كالأسود وحقيقة.

وحذف الوجه جعل النفس تذهب فيه كل مذهب مع الإيجاز والمبالغة[٢٣١] ونكر (الأسود) للدلالة على المبالغة في شجاعة هؤلاء الفرسان.

ولم يكتف بهذا التشبيه، بل عطف عليه تشبيهاً آخر وهو قوله: (جن عبقر).

حيث شبه خيول هؤلاء الفرسان في سرعتها مثل الجن ووجه الشبه هو السرعة والترهيب والخفة والنشاط في كل.

---

(٢٣٠) المفتاح/ ٧٤.
(٢٣١) القرآن والصورة البيانية ٧٧ وما بعدها.

ولكن الشاعر -أيضاً- لم يرد أن يشبه فرسانه بمطلق (جن) بل قيدها بالصفة في قوله: (عبقر) لأنهم "تسبوا كل شيء تعجبوا من كل شيء تعجبون من حذقه أو جودة صنعته وقوته، فقالوا عبقري" .

وهذا يعد تشبيهاً وهمياً [٢٣٢] الغرض منه سرعة هذه الخيول وخفتها، ومدى فظاعتها، و"إثارة الخوف في نفوس الأعداء" [٢٣٣].

"وإبرازاً لفظاعة المشبه وتهويلاً من شأنه"[٢٣٤] .

فإن الجن إن لم يشاهد، ولكنَّ الناس تتصور فظاعتهم.

وانظر إلى جمال تعبير الشريف بكلمة (فوق) إشارة إلى "قوة أجسام الخيل ومتانة تركيبها وصلابة بنيتها وضمورها.. قد أتت مشرعة فظهر العرق لامعاً على عجزها" ونجد أنه نكر (جن) للإشارة إلى كثرة الخيول والمبالغة في سرعتها.

ونجد أن الشاعر ركز على شيئين في التعبير عن شجاعته وقيادته، وهي شجاعة فرسانه، وسرعة خيوله؛ لأن هذين الأمرين مما يعدهما العرب من أدوات الفوز في المعارك، وترهيب الأعداء.

فانظر كيف كان للتشبيه بالأسد مكانةً ودوراً كبيراً في تجسيم ما يتمتع به فرسان الشاعر من الشجاعة والهيبة والشراسة والفوز على الأعداء.

ومن التشبيه بالأسد للتعبير في حالة سكونه ولينه في مقام الافتخار بنفسه وفرسانه عن عدم تخليهم عن التطلع للمعالي، وعزتهم وإبائهم وظفرهم وشجاعتهم مهما بلغ من ضعفه لذهاب" شبابه .. وتعطل الحواس، والتطامن بعد

---

(٢٣٢) التشبيه الوهمي: هو ما ليس مدركا بشيء من الحواس الخمس الظاهرة مع أنه لو أدرك لم يدرك إلا بها. ينظر: بغية الإيضاح عبد المتعال الصعيدي ١٥/٣. وينظر: جواهر البلاغة/ ٣١٧.

(٢٣٣) الطبيعتان/ ١٩٤.

(٢٣٤) علم البيان بسيوني فيود/ ٣٥.

التعالي، وإغفال الناس له، وبعد الصبايا عنه"[٢٣٥] حيث يقول في قصيدة بعنوان: (عند قلبي) [٢٣٦] : يفتخر ويذم الزمن

عنـــد قلـــبي علاقـــةٌ مـــا تُقْضَـــي ∴ وجـــوىً كلمـــا ذوي عـــاد غضَّـــا

والتفـــاتٌ إلى التصـــابي، وقـــد أســـ ∴ ـــرع بـــي جـــامحُ الـــثلاثينَ ركضـــا

ســـامحاً بالقليـــل مـــن عهـــد نجـــدٍ ∴ ربمـــا أقنـــع القليـــلُ وأرضـــى

ثم يثور بعد ذلك ويفتخر بعزته وشجاعته، ويرى أن الشجاعة تتطلب التطلع إلى المعالي، وأن يرمي نفسه في الأهوال فيقول[٢٣٧]:

مســتميتاً يــرى التحيــة بالضــيم لطامــا ∴ والعـــــار جرحـــــا ممضـــــا

طارحـــا نفســـه علـــى كـــل هـــول، ∴ قـــد تعـــامي عنـــه الجبـــان وأغضـــى[٢٣٨]

حيـث يلقـى ضـرب السـيوف وأخاديـ ∴ ـــد تمـــج الـــدماء والطعـــن وخضـــا

وفتـــورٌ مثـــلُ الأســـودِ أعـــدُّوا ∴ لقنـــيصِ العليـــاءِ وثبـــاً وربضـــا[٢٣٩]

في تلك الأبيات يتخيل الشاعر أنه في معركـة، ويقـود فيهـا الفرسـان؛ وبالرغم مما يتوهم ضعفه حينما أصابه الشيب وبعد الصبا ياعنه، ووقوف الدهر عائقاً دون أن تتحقق آماله، ومع ذلك لا يفتر ولا يمل من التطلع إلى المعالي مثله مثل الأسد فيقول:

وفتـــور مثـــل الأســـود أعـــدوا ∴ لقنـــيص العليـــاء وثباوربضـــا

---

(٢٣٥) الشريف حياته وشعره ١٥٦/٢٥.
(٢٣٦) الديوان ٥٢٥/١.
(٢٣٧) الديوان ٥٢٧/١.
(٢٣٨) تمج بالدماء: تنزفها بغزارة – الوخض: الطعن يخالط الجوف لا ينفذ من السيف.
(٢٣٩) فتر: الفاء والتاء والراء أصل صحيح يدل على ضعف في الشيء من ذلك فتر الشيء يفتر فتورا مقاييس اللغة مادة(فتر).

فيشبه نفسه وفرسانه في حالة سكونهم وتطلعهم للمعالي دائماً وسعيهم للوصول إليه، بهيئة الأسود التي وثبت على الفريسة وأخذتها إلى مرابضها، ثم هدأت وسكنت وجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من السكون بعد الحركة، أو السكون بعد الشدة والظفر والشجاعة في كل.

وهذا التشبيه تمثيلي قد أوحى بمدى السعي والجهد والتطلع إلى المعالي، وذم الجبن والضعف والذل. وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس ليكون أشد تثبيتًا وتمكناً في النفس.

فانظر كيف ساهم التشبيه بالأسد ومكانه وهو في حالة الظفر فتكون أكثر شراسة، في بيان مدى قوة هؤلاء الفرسان وظفرهم والتشبيه كذلك مفعم بالحركة والحيوية.

وتأتي بلاغة الشريف في دقته في التعبير بـ(فتور) بدلاً من (ضعفاء) أو رجال، لأن الشريف كان في حالة ألم وضعف وحزن بسبب المشيب، حتى طغى ذلك على ألفاظه لأن الفتر كما ذهب صاحب اللسان: "فتر الفترة:

الانكسار والضعف ... وفتر الشيء والحر... سكن بعد حدة ولأن بعد شدة.. والفتر الضعف وفتر جسمه يفتر فتور لانت مفاصله وضعف"(٢٤٠)

بينما الضعف يعني: (خلاف القوة وقيل: الضعف بالضم في الجسد، والضعف بالفتح في الرأي والعقل"(٢٤١).

لأن الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم:٥٤] فالضعف الثاني الهرم.

---

(٢٤٠) اللسان ٥/٣٣٤٠ ومقاييس اللغة ٤/٤٧٠.
(٢٤١) اللسان ٤/٣٥٨٧ مادة (ضعف).

ولذلك فالشريف لائم بين الألفاظ ومعانيها، ويتخير اللفظ المناسب للمعنى.

وعبر بـ(فتور) على وزن فعول" للمبالغة في السكون واللين ونكرها للتعظيم والتعميم، وعبر بـ(أسود) على وزن (فعول) للمبالغة في الشجاعة والقوة، ونكرها وجمعها للتعظيم والتكثير، فهم حينما يتطلعوا للمعالي صاروا مثلهم مثل الأسود في قوتهم وشجاعتهم الذين يفترسوا ثم يهدؤا وهذه هي سمة الشجعان، فلا يكون في حالة افتراس دائم.

ولقد ساهم مراعاة النظير بين (الأسود، وثبا- وربضا) على توضيح التشبيه، حيث أثبت أن الفرسان حتى في حالة سكونهم وهدأتهم هم أقوياء مثل الأسود، والطباق الخفي[٢٤٢] بين (فتور وأسود) قد أكد على اقتران السكون بالحركة وتثبيت التشبيه وتقويته.

ومن التشبيه بمكان الأسد في مقام الفخر بفرسان الشريف الرضى، للتعبير عن شدة الهجوم مع الشجاعة والجرأة والقوة وشدة البأس، ورباطة الجأش، والشراسة في قصيدة في مدح أبيه بعنوان: (ظل اليأس) أو "من كل لفظ نغم"[٢٤٣] حيث يقول:

قلوبٌ كأُسدِ الشرى الضاريات ∴ وأحشاؤُهم دونها كالأجم[٢٤٤]

---

(٢٤٢) الطباق الخفي: هو الجمع بين معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق مثل السببية أو اللزوم ينظر: "شروح التلخيص" ٢٩٤/٤. والألوان البديعية /٥٥.

(٢٤٣) الديوان ٣٣٤/٢.

(٢٤٤) أسد: استأسدأ أي صار كالأسد في جرأته أساس البلاغة للزمخشري د/عبدالرحيم محمود أمين الخولى – دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٢م، اللسان مادة (أسد) الشرى: موضع تنسب إليه الأسد يقال للشجعان: ما هم إلا أسود الشرى، وقال بعضهم شرى موضع بعينه تأوى إليه الأسد، وقيل: هو شرى الفرات.. والشرى طريق سلمي كثير

فمـــا ترشـــفُ المـــاءَ إلا اعـــتلالا؛ ∴ ولا تجـــــرعُ المـــــاءَ إلا قـــــرم (٢٤٥)

ففي تلك الأبيات يصور لنا الشاعر شجاعة فرسانه وأن قلوبهم فيها شـدة بأس ورباطة جأش وقوية مثل (الأسود التي تقطن المكان المسمى بـــ(الشرى) المشهور بشراسة أسودها وقوتها، ثم إنها من كثرة صيامهم وعـدم أكلهـم قـد جمدت أحشاؤهم وصلبت وهذا يدل على شجاعتهم وقوتهم.

فشبه قلوب فرسانه وجنوده الشجعان بـــ(أسد) بجامع الشـجاعة ورباطـة الجأش والإرادة في كل، ولكنه لم يرد مطلق (أسود) بل قيدها بالإضافة والوصف في قوله: أسد (الشرى الضاريات) لأن أسود تلك الأماكن أكثر شراسة وقوة مـن غيرها.

وتنكير (قلوب) للتعظيم والمبالغة في مدى شدتها وقوتها.

والتعبير بـــ(القلوب) مجاز مرسل علاقته بالجزئية أو المحليـة إذ القلـوب جزء من الإنسان؛ والمراد الإنسان كله، ولكن لما كان القلب هو موضع الشجاعة وشدة البأس، وموضع العزيمة والإرادة، وأظهر جزء في الدلالة على الشـجاعة عبر به عن الكل.

ثم شبه أحشاءهم بأنها لا تخترقها الرماح إلى صدورهم مثل الأجم فإنـه لا يمكن اختراقها، ووجه الشبه هو الحصانة والصلابة والقـوة والطـول والكثافـة والمنعة في كله.

وعبر بـــ(الأجم) لأنه مكان الأسد الذي يألفه، وأشجاره كثيفة والأسد يكون أكثر شراسة فيها.

الأسود... الحشى: ما دون الحجاب مما في البطن كله مـن الكبـد والطحـال والكرش.. حشو البطن وحشوته بالكسر وبالضم أمعاؤه.

(٢٤٥) القرم: الشهوة إلى أكل اللحم، ود استعارها للشهوة إلى الماء. اللسان مـادة (قرم) وهامش الديوان ص ٣٣٤.

واختار (الكاف) في التشبيهين للدلالة على قرب التشابه بين الطرفين.

ويعد هذين التشبيهان من قبيل التشبيه المفروق(٢٤٦).

ومما يلاحظ أن الشاعر كرر أداة التشبيه هنا توسعاً في الوصف وافتناناً في الكلام وذلك حينما يكون للمشبه جوانب عدة تستدعي ما يناسبها من المشبه به فيؤتى به ثم يكرر المشبه به مع أداة التشبيه.

أو تكون الصورة التي يريد وصف رسمها واسعة الرقعة كثيرة الألوان فتكون أداة التشبيه وطرفيه ... يستوعب بذلك جميع مناحيها حتى لم يتيسر له أن يصوغها جملة (٢٤٧)"

وكان قيمة هذا التشبيه الإيجاز"(٢٤٨).

فانظر كيف أسهم التشبيه بمكان الأسد في التعبير عن شجاعتهم "وشدة الهجوم والشجاعة والجرأة"(٢٤٩) و"المعنى أنهم شجعان تشبيهًا بالسباع الضارية في شجاعتها"(٢٥٠).

ولكن يؤخذ على الشاعر أنه كان أحرى به أن يذكر التشبيه بدون ذكر الأداة، ليكون ذلك "زيادة في تأكيد مدلولها، وحملاً على تصور الطرفين في كل منهما" (٢٥١)

ولكنْ ربما أراد الشاعر من ذكر الأداة وتكرارها للضرورة والوزن والقافية، وللدلالة على الفخامة والأبهة.

---

(٢٤٦) التشبيه المفروق هو: أن يتعدد طرفاه، ويجمع كل طرف مع صاحبه بأن يؤتى بمشبه به لباب البيان /١٦.

(٢٤٧) فن التشبيه ١/٢٠٩، ٢١٠.

(٢٤٨) البلاغة فنونها وأفنانها ص٥٣.

(٢٤٩) الطبيعتان الحية والصامتة ص/٤٦٥.

(٢٥٠) اللسان ٥/٤٩٩.

(٢٥١) ينظر: لباب البيان/ ٨٦.

في تلك الأبيات يؤكد الشاعر على "ما كان يتمتع به بهاء الدولة من سطوة "وقوة واستلاب الملك قهرًا"

حيث يقول في صفته:

حـــذار، إذا تلفـــع ثـــوب نقـــع ∴ حـــــذار، إذا تعمـــــم بـــــاللواء

حـــذار مـــن ابـــن غيطـــة مـــدل، ∴ يســـد مطـــالع البيـــد القـــواء[٢٥٢]

فهو يطلب له أن يعتده من الأعوان الذي يعتمد عليهم الملك، وبهذا السبيل يصل إلى أمانيه وأحلامه، وهو يعضد هذا ببيان ميزاته عن أقرانه التـــي يراهـــا فريدة"[٢٥٣].

فشبه الشاعر في قوله: فمن غلب...

جنوده بـــ(الغلب) بجامع الشجاعة والقهر والغلبة في كل ثم اســـتعار لفـــظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية. فهذه الاستعارة أكدت على قوتهم وغلبتهم وقهرهم، وأنهم كثير الغلبة والمبالغة في شـــجاعتهم حتـــى صاروا أسودا حقيقة.

لأن الغلب يعني كما ورد في اللسان: "رجل غلبة كثيرة الغلبة" [٢٥٤].

ثم إن الشاعر – لم يكتف بتلك الاستعارة بل قرن ذلك بتشبيه ومن التشـــبيه بالأسد للإشارة إلى الرهبة والخبرة والتمرس في فنون القتال في مقـــام افتخـــار الشاعر بنفسه وأصدقائه، فهو لا يصادق إلا الأذكياء الشـــجعان، وكـــان يمتـــاز بالمسالمة مع الأصدقاء الأوفياء، أما في وقت الحـــروب فيكونـــون كالحيـــات أو

---

(٢٥٢) الغيظة: الظلام المتراكم المدل: الذي يدل على أقرانـــه بشـــجاعته، لســـان العرب مادة (دل) القواء: الخالية، اللسان مادة (قوء)

(٢٥٣) الشريف حياته وشعره ١٥٥/١، ١٥٦.

(٢٥٤) اللسان ٦٥٣/٦.

كالأسود في ترهيبهم وتخويفهم للناس، وورد ذلك في قصيدة بعنوان: (ليت الخيال) أو، (قول الفحول ونجدة الأنجاد) فيقول[٢٥٥]:

أنا خل كل فتى إذا أيقظته ∴ أيقظت كالنضاض أو كالعادي[٢٥٦]

فالشاعر شبه صديقه حين يوقظه للحرب والقتال فإنه يكون في هذه الحالة مثل: (النضاض) أي الحية، ووجه الشبه هو الرهبة والقلق والحركة والنشاط وشدة الإيذاء في كل.

ثم تأتي دقة الشريف في اختياره من ضمن أسماء الحية (النضاض) لأنه كما يقول صاحب اللسان عنه: (قيل للحية: نضناض وهو القلق الذي لا يثبت في مكان لشرته ونشاطه.. وقيل: هي التي تقتل إذا نهشت من ساعتها.. وقيل: هي التي لا تستقر في مكان".

ومن توظيف أعضاء الأسد وهي (الشدقين وحدة الأنياب، للتعبير عن الاستعداد للقتال والتأهب له وشدة الهجوم مع الشجاعة والجرأة والقوة، ما جاء في مجال الفخر بنسبة وشجاعته وكرمه في قصيدة بعنون: (هذي الرماح) أو (بردي عفيف) فيقول[٢٥٧]:

لها شُمٌّ غُرَرٌ تلقي لسائلها ∴ طلاعُهُ من ثنايا البأسِ والكرمِ

وما ابن غيل تُذبعُ الموتَ طلعتُه ∴ إذا تطلَّع غضباناً من الأجمِ[٢٥٨]

يوماً بأقدم مني في ململمةٍ ∴ شعواءَ تُعرفُ بالعقبانِ والرَّخمِ[٢٥٩]

---

(٢٥٥) الديوان ٣١٩/١ .

(٢٥٦) النضاض: الحية التي تقتل إذا نهشت اللسان مادة (نضض) العادي: القديم اللسان مادة (عاد) المفضليات /٣٢٠.

(٢٥٧) الديوان ٣٤٣/٢.

(٢٥٨) ابن غيل: الأسد، والفيل شجر يستتر فيه كالأجمة اللسان مادة (غيل) تطلع الرجل على القوم يطلع وتطلع طلوعاً وأطلع هجم اللسان مادة (غيل)، (طلع) .

يجلـو دجـى شـدقه عـن صـبح عاصـلةٍ ∴ مطـرورةٍ كشـبا المطـرورةِ الخـذمِ[٢٦٠]

في تلك الأبيات يوظف الشاعر إحدى أعضاء الأسد، وهي أنيابه في صورة كلية استخدم فيها الحركة واللون والشكل، حيث شبه هيئة هـؤلاء القـوم حـين يبيتون يترقبون أعداءهم ليلاً معدين العدة والأسلحة، للقائهم بهيئة الأسود التـي تبيت لفريستها مستعدة لها بأنياب حادة ومخالف معوجة، وهذا الاعوجـاج فـي أنياب الأسود له دلالة على قوتها وشجاعتها، وأنها ليست أسوداً عادية بـل لهـا مواصفات خاصة، مما يعود وينعكس على المشبه وهم أن هؤلاء القوم يملكـون أسلحة قوية وسيوف قاطعة، وهذا القيد يخدم المعنى ويزيده تأكيداً ووضوحاً، كما يخدم التشبيه"[٢٦١].

ووجه الشبه: الهيئة الحاصلة من الحدة والقطع والتمزيق قـوة الافتـراس والظفر في كل، والأداة هي الكاف لتقريب الشبه بين الطرفين.

فاستطاع الشاعر من خلال توظيف أعضاء الأسد ومكانه أن ينقل لنا ويجسم تلك المعاني في صورة محسوسة، وفي إثبات أنه مهيب ومخيف ومرعب.

ويأتي جمال تعبيراته حينما عبر بـ (غيل) ليفيد "إيصال الشر والقتل إليـه من حيث لا يعلم ولا يشعر"[٢٦٢] بالعدو، فكذلك الأسد يبيت لفريسته متستراً وراء الأشجار فيفرسها من حيث لا تعلم.

---

(٢٥٩) الململمة: الكتيبة، الشعواء: المتفرقة لكثرتها، الطبيعتـان هـامش الـديوان ٣٤٣/٢.

(٢٦٠) العاصلة: أراد أنيابه المعوجة – مطرورة: محددة اللسان مادة (مطر) شبا: حد. الخذم: القاطعة حدة السيف ومضائه، اللسان مادة (خذم).

(٢٦١) ينظر: الرثاء في ديوان الشريف الرضي دراسة بلاغية رسـالة دكتـوراه للباحثة: فاطمة الشحات إشراف عبد المجيد هنداوي، ص ١٩٩، ط ١٤٣٣هـ – ٢٠١٣م، كلية الدراسات الإسلامية والعربية (بنات القاهرة).

(٢٦٢) اللسان ، ٧ / ٤.

ومن توظيف التشبيه بالأسد ليفخر بشجاعته وشجاعة قومه، أو فرسانه، وشدة هجومهم وإقدامهم ثم يفخر ويثور فيقول[٢٦٣]:

نحن أسود الوغى إذا قصف الطعـ ∴ ـن قنا الخط في جوانبنا

ملتف أعياصنا إلى مضر ∴ أمر عيد اننا لعاجمنا[٢٦٤]

في هذين البيتين يفتخر الشاعر بأنه "أخو الوغى والندى، رضيع المعالي، وهو يرقب اليوم الذي تلتف حوله مضر، وتسيل قبائلها من أمامه، وحينئذ يبقى من الأسوياء ويصل إلى ما يريد[٢٦٥]، حيث يقول في موضع آخر[٢٦٦]:

إذا مضر ظللتني القنا ∴ وسالت قبائلها من أمامي[٢٦٧]

كل ما يهمنا هو كيف وظف الشاعر – التشبيه بالأسد للتعبير عن كل هذه المعاني من خلال تشبيه نفسه على سبيل التعظيم والمبالغة أو فرسانه في قوله:

(نحن) والمشبه به (أسود) ووجه الشبه هو الشجاعة، والجرأة، والإقدام في كل، وشدة الهجوم، ولكن الشاعر لم يرد أن يشبه نفسه وفرسانه بمطلق أسود، بل قيدها بالإضافة في قوله: (أسود الوغى)، فهذه الإضافة أفادت شدة الإقدام، والشجاعة، والجرأة، وشدة الهجوم في كل، لأن الشجاعة في مقام الحرب والمقاتلة والمبارزة تكون أظهر وأقوى، ولذلك قال قبل هذا البيت:

من قوم أظهروا الشجاعة في البخل، ∴ وعند المكارم الجبنا

---

(٢٦٣) الديوان ٤٦٣/٢.

(٢٦٤) أعياصنا: أصولنا والأعياص من قريش أولاد أمية بن عبدشمس وهم: العاص، وأبو العاص والعيص، وأبو العيص – اللسان مادة (عاص) العاجم: المختبر عجمت العود إذا عضضته لتعرف صلابته من رخاوته، اللسان مادة (عجم).

(٢٦٥) الشريف حياته وشعره ٢ / ١١٧ "بتصرف".

(٢٦٦) الديوان ٢ / ٤٦٢.

(٢٦٧) مضر: مضر بن نزار قبيلة عظيمة من العدنانية كانت ديارهم حيز الحرم إلى السروات، وما دونها من الغور: وكانت لها رياسة في مكة معجم قبائل العرب ١١٠٧/٣.

وصدق الشاعر إذا يقول[٢٦٨]:

يجـــود بـــالنفس إن ضـــن الجـــود بهـــا ∴ والجـــود بـــالنفس أقصـــى غايـــة الجـــود

واستطاع الشاعر أن يزيل الابتذال الوارد في التشبيه من خلال هذا القيـــد، وكذلك الجملة الشرطية في قوله: (إذا قصف الطعن من جوانبنا) أي نحن أســـود في مقام الحرب، وتصدينا للهجمات، والتأكيد على شاعتهم وقوة مقاومتهم لتلـــك الرماح.

فانظر كيف استعان الشاعر بالتشبيه بالأسد أن تحقيق حلمه فـــي القضـــاء على مضر التي سلبت منهم الخلافة، وكان هو وقومه أحق بها منهم.

وحذف الأداة والوجه يوحي بالمبالغة في شجاعة شـــاعرنا، لدرجـــة أنـــه وجنوده، أو قومه صاروا أسوداً حقيقة في وقت الحرب مع الإيجاز.

ومما يلاحظ -أيضا- أن الشاعر حذف أداة التشبيه والوجـــه ليـــدل علـــى الاتحاد والمماثلة، فالشريف وجنوده صاروا أسوداً حقيقة في الحرب، وتنوســـيت شخصياتهم، واستحضرت صورة جديدة بها براعة وإجادة من الشـــاعر ومـــدى الحركة والحيوية التي جعلت التشبيه جميلاً وجديداً.

والتشبيه يوحي بمدى القلق والوثوب والحساسية التي تخيم على شـــاعرنا، ومدى الكراهية التي يكنها لمضر التي يريد القضاء عليها، والتشبيه بالأسد يحقق له ذلك.

ومن الصور الكلية التي عبر عنها الشريف الرضي في لوحة متكاملة فـــي وصفه وتصويره للأسد، والفخر بنفسه في كثير من القصائد، فذكر رصده الطريق وغلظه، وإدراعه بالدم، وقنصه بكفه، وتشقيقه القلوب بمخالبه، وعـــدم ادخـــاره

---

(٢٦٨) ينظر: ديوان مسلم بن الوليد ٢ / ١٠٠.
وينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، الشيخ/ عبد المتعـــال الصعيدي، ١/ ١٠، مكتبة الآداب ١٤١٣ هـــ - ١٩٩١م.

الزاد، لأنه يهجم على مطعمه في كل حين[٢٦٩]، وما نلحظه في تلك القصائد أن الشريف "لا يصرف همه حسين يصف إلى استقصاء سمات الموصوف وملامحه، حتى تتعرف على كل شيء فيه بقدر ما يهتم بإخفاء شعوره، وإبداء أحاسيسه"[٢٧٠].

ولقد كان للتشبيه بالأسد دوره في تلك القصائد حيث استطاع الشاعر من - خلاله- أن يعبر عن أروع المعاني سواء كانت حسية أو معنوية، مثل: العزة والإباء والغلبة والقهر، والشجاعة، والجرأة، والإقدام، والجلدة وقوة التحمل، والظفر، وشدة الهجوم، وطموحه ونزوعه للعلا، ومحاربة الزمان له والحيلولة دون تحقيق أمله في الحصول على الخلافة وغيرها من المعاني التي سوف نستشفها من خلال القصائد التالية.

فمن هذه القصائد التي استعان فيها التشبيه بالأسد والتشبيه بأحد أعضائه، وهي الشدقين والأنياب للتعبير عن الحدة والمضاء ونفاذ الإرادة، ورد ذلك في لوحة فنية متكاملة، قوله: في قصيدة بعنوان: (بنو عامر) أو "الليث إلا من يدل عن نفسه"[٢٧١]: بعد حث بني عامر بالأخذ بالثأر لقتلهم أبو العوام فيقول[٢٧٢]:

إذا همَّ لم تقعدْ به عزماتُه؛ ∴ وإن ثار لاتعيا عليه المطاعمُ

كأن على شِدْقَيْهِ ثغراً وراءه ∴ ذوابلُ من أنيابه وصوارمُ

فما جذب الأقران منه فريسة ∴ ولا عاد يوماً أنفه وهو راغم

---

(٢٦٩) الشريف حياته وشعره ٢/١٨٠.

(٢٧٠) المرجع السابق، ٢/١٨١.

(٢٧١) ولقد ذكر الدكتور زكي مبارك أن صاحب الديوان ذكر أنها في وصف سير الليل، ووصف الأسد، والشريف نظمها الغرض آخر غير وصف الأسد، ولكن جاء وصف الأسد عن طريق الاستطراد، ينظر: عبقرية الشريف الرضي د/زكي مبارك ج١٨١/٢، ط٢ المكتبة التجارية ط ١٩٥٣م.

(٢٧٢) الديوان، ح٣٣٣/١، ٣٢٣.

يـــرى راكـــب الظلمـــاء في مســـتقره، ∴ وتســـتن منـــه في العـــرين الغمـــاغم[٢٧٣]

نمـــرٌ وراء الليـــل نكتُمـــه السُّـــرى، ∴ وقـــد فضـــحتْنا بالبغـــام الرواســـمُ[٢٧٤]

لـــه كـــلُّ يـــومٍ غـــارةٌ في عـــدوِّه ∴ تشـــاركه فيهـــا النســـور القشـــاعم[٢٧٥]

كـــأن المنايـــا إن توسَّـــد باعُـــه ∴ تـــيقَّظُ في أنيابـــهِ، وهـــو نـــائمُ

ومـــا الليـــثُ إلا مَـــنْ يـــدلُّ بنفســـه ∴ ويمضـــي إذا مـــا بادهتْـــهُ العظـــائمُ

ومـــا كـــل ليـــث يغـــنم القـــوم زاده، ∴ إذا خفقـــت تحـــت الظـــلام الضـــراغم

أقـــول إذا ســـالت مـــع الليـــل رفقـــة ∴ تقاذفهـــا حتـــى الصـــباح المخـــارمُ

في هذا البيت يصف الرحلة في الصحراء، وأنها انتهت بهم إلى الجبل، وهذا يعد "رمز للحياة ونضال الشاعر من أجـل الحيـاة، ومحاولتـه الدائبـة للتغلـب عليها"[٢٧٦].

فبدأ يسرد لنا قصة تشتمل على العديد من الجزئيات يجعلك تتـابع أحـداثها شيئا فشيئاً، حتى تنتهي إلى الحكمة التي هي خلاصة تجربته في الحياة.

فبعد أن فقد الشاعر الناصر والمعين وهو قتل ابن العوام، بدأ يستجمع قوته مرة أخرى، متخذاً الأسد رمزاً لشجاعته وعظمته وجرأته، ولـم يهـتم الشـاعر بوصف شكله نجد أن تلك الأبيات هي أشبه "بلوحة كبيرة تضـم داخلهـا صـوراً

---

(٢٧٣) السري: السير ليلاً اللسان مادة (سري) البغام من بغمت الناقة: إذا قطعـت صوت الحنين ولم تمده اللسان مادة (بغم).

(٢٧٤) الرواسم: الإبل تسير: الرسيم: ضرب من العدو، اللسان مادة (رسم).

(٢٧٥) القشاعم: المسنة اللسان مادة (قشعم).

(٢٧٦) ينظر: الكومي ص ٦٠٧.

صغيرة لا تستقل بنفسها، جزئيات هذه اللوحة الكبرى، تتحد داخلها اتحاداً عضوياً"(٢٧٧).

ولقد أجاد الشاعر في رسم الأسد "خَلْقًا وخُلُقًا" وكان للتشبيه دورٌ كبيرٌ في نقل تلك الصورة، بحيث "لا يتم المعنى بدونه، فهو ليس عنصرًا إضافيا في الجملة، ولكنه جزء أساسي .. يأتي ضرورة في الجملة، يتطلبه المعنى ليصبح قوياً"(٢٧٨).

فبعد أن انتقل الشاعر من مطالبة قوم أبي العوام في الأخذ بثأره، انتقل واستطرد إلى وصف الأسد، فينتقل إلى الفخر بنفسه، ويحقق وجوده، "ويتعالى على غيره بما أهلته الطبيعة من صفات الافتخار، ويفتخر بشجاعته، وإن كان لا يقصد بها الشجاعة الجسدية والمقدرة القتالية، أنما يعني بها الصراحة و الجرأة وقوة العناد والتحمل(٢٧٩) .

فالشريف يكون أقوى حماسة وأشد إذا مس طماحه بسوء، وهددت آماله بالخطر"(٢٨٠)، فهو يخوض الغمرات، ويصارع الأهوال، مستغرقًا في حلم اليقظة بكل كيانه...

بدأ قصته بتلك الاستعارات والكنايات التي تكاتفت مع التشبيه وألوان أخرى من البديع "لإبراز الجمال أو القبح الذي ينشأ من دقائق الصلة بين أمرين"(٢٨١).

---

(٢٧٧) الصنعة الفنية في شعر المتنبي دراسته نقدية صلاح عبد الحافظ، ص / ١٧٤، ط١، دار المعارف ١٩٨٣م.

(٢٧٨) يراجع التصوير الفني في القرآن د / بكري شيخ أمين، ص/ ١٩٤، ط ثالثة، ط دار الشروق ١٣٩٩ه – ١٧٩٩م، "بتصرف يسير".

(٢٧٩) الصورة الفنية في شعر د عبل بن علي الخزعي، ص/٣٣٣.

(٢٨٠) الحماسة في ديوان الشريف ص / ٣٠١.

(٢٨١) الصورة الفنية في شعر ابن دعبل ص / ٢٨٧.

فقوله: "أشم طويل الساعدين ضبارم "هي كناية عن عزته وشجاعته ورهبته، (لأن الرأس وطول الساعدين) هما أداتا الرهبة والتخويف عند الأسد وقد صورت الكناية الشيء المنوي بصورة محسوسة، وأتت بالمعنى مصحوباً بدليلها مع الإيجاز.

ثم بدأ يفصل كيفية تلك الشجاعة والقوة، ويفصل المشبه به (ضبارم) فالشطرة الأولى كناية عن العزم والإرادة والقدرة، والشطرة الثانية كناية عن الغلبة والفوز وعدم العجز في كل، ثم يفصل أكثر كيفيه تحقيق عزمه وإرادته عن طريق التشبيه في قوله:

كأن على شدقيه ثغراً وراءه ∴ ذوابل من أنيابه وصوارم

في هذا البيت يشبه الشاعر أسنانه بأنها ليست مطلق أسنان، بل إنها أسنان تحتوي على رماح وسيوف قاطعة ومهلكة، مثلها مثل أنياب الأسد في حدتها وقطعها، لأن هذه الرماح والسيوف هي جزء من أنياب الأسد، لأن "من" أفادت التبعيض[٢٨٢]، ووجه الشبه: هو الحدة و القطع والقدرة على التمزيق في كل.

واستعمل أداة التشبيه (كأن) لأنها أكدت على التلاحم بين الطرفين فلا فرق بين الرماح والسيوف وبين أنياب الأسد.

"متى كانت المباعدة بينهما أتم، كان التشبيه أعجب، والسبب في ذلك هو أن المباينة متى كانت أدخل بينهما كان التشابه كان أشد إعجاباً في النفوس، وأقوى تمكناً فيها، لأن أكثر مبنى الطباع على أن الشيء إذا تصور ظهوره من مكان يبعد

---

(٢٨٢) جواهر الأدب في معرفة كلام العرب د / علاء الدين علي الإربلي د/ أميل بديع يعقوب، ص ٣٦٩، ٣٧١ ط١، دار النفائس للطباعة والنشر ١٤١٣ه-١٩٩١م.

ظهوره منه، ازداد شغف النفس به وكثر تعلقها به، فما يتعذر وجود أعجب مما يتسهل وجوده"(٢٨٣)

كما تكاتف مراعاة النظير مع التشبيه في توضيحه وتأكيده بين قوله: في المشبه (شدقيه ثغر) والمشبه به بين "ذوابل وصوارم" لما بين الشدقين والثغر من تناسب حيث انها أداتا الظفر والغلبة والافتراس للفريسة.

(وذوابل وصوارم) أيضاً بينهما تناسب حيث أنهما أداتا الفوز في القتال والمعارك، وحدتهما تدل على مضائهما، وبالتالي هذا يدل على شجاعة صاحبهما، وبذلك ينشأ التلاحم والتلاؤم بين الألفاظ والمعاني، وهذا ما أكده مراعاة النظير والجمع.

كما نلاحظ شيوع ضمائر الغيبة في قوله: (شدقيه – وراءه – أنيابه) للدلالة على الشهرة والذيوع في شجاعة أصحاب من يمتلك تلك الأدوات.

وهذا التشبيه يعد مقلوبًا وذلك لأن الرماح والصوارم هي التي أشد حدة من أنياب الأسد في الحدة، وإنما قلب بأن جعل تلك الرماح والصوارم أشد حدة من أنياب الأسد، ذلك لأن "العرب إذا شبهت شيئاً بشيء مكنت ذلك الشبه لهما، وأصبح المشبه في موضع يصلح أن يكون هو المشبه به، أن يكون هو الأصل، وهو الأقوى بعد أن كان هو الأضعف، وهو المثال الذي يحتذي ويقاس عليه، وفي ذلك من المبالغة والطرافة ما لا نراه لو وضع المشبه في موضعه حيث يبقى ضعيفاً كما ينبغي أن يكون عليه من الضعف"(٢٨٤).

ثم تتوالى الكنايات في وصفة لمظاهر تلك الغلبة والظفر حيث يقول:

فما جذب الأقران منه فريسة ∴ ولا عاد يوماً أنفه وهو راغم

---

(٢٨٣) ينظر: المرجع السابق، ص / ٣٥٠.
(٢٨٤) من المكتبة العربية، د / عبد القادر حسين، ص ١٩.

فالشطرة الأولى كناية عن الظفر والغلبة وعدم التعدي عليه، والشطرة الثانية كناية عن عدم الذل.

ثم يقول:

لـــه في كـــل يـــوم غـــارة في عـــدوه ∴ تشـــاركه فيهـــا النســـور القشـــاعم

فالشطرة الأولى كناية عن كثرة القتلى، والشطرة الثانية كناية عن وفرة المطعم وسخائه.

ثم يستطرد إلى محاربة الأيام له ووقوفها عائقاً دون تحقيق أمانيه عن طريق توظيف التشبيه بإحدى أعضاء الأسد وهي الأنياب فيقول:

كـــأن المنايـــا إن توســـد باعـــه ∴ تـــيقَّظُ في أنيابـــه وهـــو نـــائم

شبه هيئة حوادث الدهر ومصائبه حينما كان متوسداً على ذراعيه، فلم تستطع مقاومته وقهرها وحاربها بواسطة أنيابه الحادة القاطعة، ووجه الشبه: الهيئة الحاصلة من المباغتة والغفلة في كل.

وقوله: (وهو نائم) تشبيه آخر أوحى بالغفلة والاستسلام والمباغتة، وخص (الأنياب) بالذات لأنها أداة التغلب على الفريسة.

وهذا التشبيه يعد تشبيها تمثيليًا وكان تشبيهًا رائعًا، لأن "كل صورة تشبيهية تحتوي على عناصر وجزئيات مكونة لها وتفصيلات تركيبية أو حركية، لتقوم بدورها الذي وظفها الشاعر، فيه، لتوضح ما سبقها، وتفسيره وتأكيده، وبيان ما خفي فهمه[٢٨٥].

كما أن الشريف استطاع أن يحول هذا التشبيه من القريب المبتذل وهو تشبيه المنايا أو حوادث الدهر بالأسد، إلى تشبيه مبتكر من خلال الشرط و

---

(٢٨٥) الصورة الفنية في شعر دعبل ص/ ٣٧٠ "بتصرف".

الجواب في قوله: (إن توسد باعه : تيقظ في أنيابه وهو نائم)، ولقد أشاد الدكتور زكي مبارك وأعجب بهذا البيت وعده من أجود ما قاله الشريف(٢٨٦).

ومن القصائد التي وظف فيها الرضي التشبيه بالأسد في صورة كلية ولوحة متكاملة في أثناء وصف الأسد، وهو إنما يصف نفسه بصفات معنوية كالشجاعة والظفر على الأعداء، والقوة، والجرأة، وتجسيم ذلك بصورة حسية من خلال التشبيه بالأسد في قصيدة بعنوان: (لا تقربن الغاب) فيقول(٢٨٧):

فلا تقربن الغاب يحميه ليثُه ∴ ودع جانباً واعراً على من يحلهُ

كأن على الأطوادِ من نزعِ بيشةٍ ∴ رصيد طريق ضلَّ من يستدُّله(٢٨٨)

تلفع في ثني عباء مشبرق ∴ أصابيغ ألوان الدماء تبلله(٢٨٩)

قصا قصة ما بات إلا على دم ∴ تمضمض منه عرسه ثم شبله(٢٩٠)

أخو قنص كفاه كفة صيده ∴ إذا جاع يوماً والذراعان حبله

يشقق عن حب القلوب بمخصف ∴ أزل كما جلى عن الرمح نصله(٢٩١)

كخازر مقدود الأديم رأيته ∴ تبين عن الإشفى وطورا يغله(٢٩٢)

قليل ادخار الزاد يعلم أنه ∴ متى ما يعاين مطعماً، فهو آكله

---

(٢٨٦) عبقرية الشريف الرضي ١٨١/٢ .

(٢٨٧) الديوان ٢ / ٢٢٧.

(٢٨٨) بيشة: مأسدة على طريق اليمامة – اللسان ٣٩٦/١. المفضليات رصيد الطريق السبع يترصد هامش الديوان، اللسان مادة (رصد).

(٢٨٩) تلفع: التحف – المشبرق: المقطع، الممزق اللسان مادة (شبرق).

(٢٩٠) القصاقصة: الغليظ، وهو نعت للأسد اللسان مادة (قص)، والحيوان في الأدب العربي تمضمض – لا تحتمل ما يزعجها، هامش الديوان.

(٢٩١) المخصف: مخرز الإسكافي اللسان مادة (خصف).

(٢٩٢) الأديم: الجلد اللسان مادة (ديم) يبين: يفارق – الأشفى: المثقب، اللسان مادة (أشف)– يغله: يدخله هامش الديوان، اللسان مادة (غل).

تبدأ تلك الأبيات عند الشاعر بتوظيف الأسد ومكانه في التعبير عن شجاعته وقوته من التهديد بعدم الاقتراب من ذلك المكان، لأنه هو الذي يحمي ذلك المكان فهو شجاع وجرئ ومتجلد، وهذا ما أفادته الاستعارة في قوله: "ليثه" فهو مثل الأسد في شجاعته وجرأته وتجلده وشدته ورباطه جأشه. ثم فسر تلك الاستعارة ووضحها بالتشبيه الوارد في قوله:

كأن على الأطواد من نزع بيشة ∴ رصيد طريق ضل من يستدله

فشبه نفسه بكونه أسدًا يسكن أعلى الجبل في ذلك المكان "بيشة" المشهور بشراسة أسودها وقوتها فهو يعد أسداً من تلك الأسود.

واختار التشبيه بـ (كأن) لقوة التشابه بين الطرفي والتأكيد والمبالغة في شجاعته لدرجة أنه هو والأسد صاروا سواء.

ثم توضح الكناية التشبيه في قوله: (رصيد طريق) كناية عن السبع، لتصوير الشيء المعنوي بصورة محسوسة.

وهذا ما أكدت عليه أيضاً الكناية في البيت التالي من أنه قام بتحقيق الفوز والانتصار على أعدائه في قوله:

تلفع في شيء عباء مشبرق ∴ أصابيغ ألوان الدماء تبله

فكون عباءته مقطعة من أثر التصدي للهجمات، كما أن عباءته بها آثار الدماء من كثرة القتلى، فهذا كله دليل شجاعه وقوته فقوله: "أصابيغ ألوان الدماء تبله" كناية عن الفوز والانتصار، كما أن الأسد يظهر على وجهه ولبدته الدم وهذا كناية عن كثرة الفرائس، ثم يأتي التشبيه التمثيلي في قوله:

يشقق عن حب القلوب بمخصف ∴ أزل كما جلى عن الرمح نصله

كخارز مقود الأيم رأيته ∴ يبين عن الأشفى وطوراً يغله

فنجد أنه شبه هيئة انتصاره على أعدائه ونفوذ رمحه في قلوب أعدائه، وكثرة التخريم والتمزيق في قتلاه، بهيئة صانع الجلود حينما يدخل المثقب في الجلد وتارة يخرجه، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من التخريم، والتقطيع، والتمزيق، وعدم الالتئام وعدم الإصلاح في كل.

فهذه الجروح لا يمكن التئامها مرة أخرى، كما أن عدوه لا يستطيع الإفلات، وهذا التشبيه استطاع أن يصور لنا الشيء المعنوي بصورة محسوسة.

ومما يلاحظ على الشريف أنه يتبع الشعراء الجاهليين في التشبيه الاستطرادي "الذي يتحول فيه الشاعر عنه المشبه إلى المشبه به ويمعن بوصفه والتدقيق بتفاصيله وجزئياته حتى يغدو موضوعاً مستقلاً مستقيماً بذاته دون المشبه(٢٩٣).

فالشريف الرضي يرمز بانفعالاته على الأسد الذي جعله مشبهاً به، ليثبت مدى شجاعته وقوته، فاستطاع من خلال المكان واللغة والشكل أن ينقل لنا تلك المعاني، ويجسمها لنا من خلال الصورة البيانية المتنوعة من استعارة وكناية وتشبيه.

الشكوى:

لقد شكا الشريف الرضى ــ قهر الأيام وغلبتها، ثم تحول الزمان وسخطه عليهم ووقوف الدهر والأيام عائقاً دون تحقيق أمانيه.

ولقد وصف د/ عبد الفتاح الحلو بأن هذا جعل الشاعر يشعر بالقلق.

فقال: ولقد كانت هموم الرضى كثيرة ، والآمال إذا لم تتحقق ثقل عاتق صاحبها بالحزن... وإنك لتحس نفس الشريف قلقه ، يؤلمها ظلم الناس ونكبات (الدهر). والإحساس بالحزن والضعف حينما قبض على أبيه(٢٩٤).

---

(٢٩٣) فن الوصف إيليا الحاوي ص / ٧٣ .

(٢٩٤) الشريف حياته و شعره ١٣٢/٢ وما بعدها.

ومن استعانته بالتشبيه بالأسد في حالة غضبه وعبوسه بالشكوى من الزمان عند الشاعر وسخطه عليهم، حينما قبض على أبيه وتم سجنه واعتقاله، فيصور الدهر بكونه كان ضعيفاً ، ما لبث أن تحول هذا الدهر وأصبح (ليث شتيم) أثناء غياب أبيه ومدى شدة غضب الزمان وسخطه عليهم فيقول[٢٩٥] :

في ليلةٍ غاب معي بدرُها ∴ وحاربتْهما في الظلامِ النجومُ

في كلِّ يومٍ تنتضي منهم ∴ قوارضُ تعقرُ حُلمَ الحليمِ[٢٩٦]

كم صبغ الدهر قميص النزى ∴ وعاد رق الأرض ضاحي الوشوم[٢٩٧]

والدهر في أبياتِنا جُؤْذَرٌ ∴ فالآن أضحى وهو ليثٌ شتيمُ[٢٩٨]

أيام نزجى من مواعيدنا ∴ ضراغما تفرس عدم العديم[٢٩٩]

يشكو الشريف في تلك الأبيات من هجر محبوبته له، ثم يصف حاله عندما سجن أبوه وقبض عليه وتم اعتقاله، وكان الشريف يرتبط بأبيه ارتباطاً وثيقاً.

فكان يعيش مع أبيه وأسرته في غنى وترف ونعيم، وكانوا يتغلبون على حوادث الدهر، لقوتهم وغلبتهم، ثم ما لبث وأن تكدر العيش وتحولت حالهم إلى كونهم فقراء معدومين بحبس أبيه والدهر وحوادثه تغلبت عليهم وقهرتهم.

---

(٢٩٥) الديوان ٢ / ٣١٩ وما بعدها.

(٢٩٦) القوارص الكلام المؤلم، هامش الديوان.

(٢٩٧) الوشوم: أراد به النبات على التشبيه بالوشم، الضاحي الظاهر، هامش الديوان.

(٢٩٨) الجؤذر: ولد البقرة الوحشية – الليث الشتيم: الأسد العابس – الديوان ٣١٣/٢، واللسان مادة (جذر) ومادة (شتم).

(٢٩٩) الضرغام: الضرغام الضرغامة الأسد، ورجل ضرغامة شجاع ... وهو الضاري المقدام من الأسود، اللسان مادة (ضرغم) العدم: العدم والعدم: فقدان الشيء وذهابه، وغلب على فقد المال ولته، اللسان مادة (عدم).

ولقد ساهم التشبيه بـ (لأسد) في حالة عبوسه وغضبه في تصوير كل تلك المعاني والعواطف، حيث شبه (الدهر) في ضعفه ومدى تغلبهم على أحداثه ومصائبه عند وجود أبيه بـ(الجؤذر) في قوله (الدهر في أبياتنا جؤذر) ووجه الشبه الضعف واللين والرقة والجمال والسرور في كل، وهو تشبيه محذوف الوجه والأداة، أي تشبيه مؤكد مجمل، ليثبت المعنى ويمكنه في النفس مع الإيجاز، "والمبالغة في تأكيد المعاني وتقريرها"(٣٠٠).

وصور حوادث الدهر وهو شئ معنوي بـ (جؤذر) وهو شئ حسي ليثبت المعنى ويمكنه في النفس، وأفاد اختصاصهم بتغلبهم على حوادث الدهر وضعفه أمامهم، والمبالغة في ذك بالقصر(٣٠١)، بالتقديم في قوله: (في أبياتنا جؤذر) في كونه ضعيفا ومسلماً لهم، والرضا عليهم ولذلك نكر (جؤذر) للمبالغة في الضعف والرقة، ويمكن أن يكون قوله: (الدهر في أبياتنا جؤذر) كناية عن الضعف، فصورت الشيء المعنوي بشيء محسوس مع المبالغة والإيجاز، وإثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجئ إليها فتثبتها هكذا ساذجاً غفلاً (٣٠٢). وفي الشطرة الثانية يوجد الالتفات(٣٠٣)،

---

(٣٠٠) علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان د / بسيوني فيود، ص ٢٦، ط٣ مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ١٤٣٢ ه – ٢٠١١م.

(٣٠١) القصر: هو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للحافظ جلال الدين السيوطي، ص ١٤٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه ١٣٥٨م.

(٣٠٢) دلائل الإعجاز /٧٢.

(٣٠٣) الالتفات هو: "الانتقال من التكلم والخطاب والغيبة مطلقا بنقل كل واحد منها إلى الآخر" ينظر: الإيضاح لخطيب القزويني د / محمد عبد المنعم خفاجي، ج٢/٨٥ "بتصرف" ط٣، دار الجيل، بيروت.

من التكلم إلى الغيبة في قوله: (وهو ليث شتيم)، وفي ذلك تطرية، وجذب الانتباه[٣٠٤]، والإصغاء، وعدم الملل من أن يكون الأسلوب على وتيرة واحدة.

وعبر بالضمير (هو) موضع الظاهر (الدهر) للدلالة ما قبله عليه والدلالة على مدى شدة الدهر وقوته.

فالتشبيه استطاع أن ينقل لنا كيف تبدل الدهر، وتغير الحال، وأصبح الزمن السعيد المملوء هناء وفرح كـ (الليث الشتيم) في قوته وغلبته، وقهره لهم، وعدم استطاعتهم التغلب على حوادثه وهمومه.

وقيد شاعرنا التشبيه ليزيد من وضوح الصورة وتحديدها[٣٠٥].

والتشبيه المحذوف الوجه والأداة فيه قوة المبالغة، لما فيه من ادعاء أن المشبه هو عين المشبه به، ولما فيه من الإيجاز الناشئ عن حذف الأداة والوجه معاً، هذا الإيجاز الذي يجعل النفس تذهب فيه كل مذهب، ويوحي بصور شتى من وجوه التشبيه[٣٠٦].

كما أنه استخدم أداة التشبيه "كأن" للدلالة على المبالغة وقوة الشبه بين الطرفين حتى يكاد الرائي يشك في أن المشبه هو المشبه به أو غيره، ولذا لما حكى القرآن الكريم قول بلقيس في قوله تعالى: "فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو" وقد كان هو فعلاً، ولبيان شدة الشبه في نظرها استعملت (كأن)[٣٠٧].

---

(٣٠٤) ينظر الإيضاح د / عبد المنعم خفاجي ٢ / ٩١ "بتصرف".

(٣٠٥) الصورة البيانية دراسة وتحليل د / عزيزة الصيفي / ٣٩ ط ١٤٣٣ ه – ٢٠١١م.

(٣٠٦) علم البيان عبد العزيز عتيق / ١٠٥ دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت.

(٣٠٧) نظرات في البيان د / محمد عبد الرحمن الكردي / ٦٨، ط٣، مطبعة السعادة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

ليدل على شدة الغضب، وسوء الحال وشدة السخط، ومن دقة تعبيراته أنه أتى بـ (ليث) كرة للدلالة على المبالغة في شدته وقوة الشاعر وشدة غضبه، مع استحضار كل الصفات التي يتصف بها من الجرأة والقوة والشجاعة، ومدى قسوة تلك الأيام وصعوبتها عليهم، وعبر بـ (شتيم) على وزن (فعيل) للمبالغة في شدة الغضب والسخط.

والأسد حينما يكشر عن أنيابه ويكون عابساً، فإنه يكون في قمة الاستعداد للافتراس.

ولقد ساعد التشبيه على "نقل الواقع المرير البائس، بحيث يعمق الجرح، ويجسم المأساة"(٣٠٨).

ولقد برع الشريف الرضي – في التعبير عن عجزهم ومدى انكسارهم، وتفشي الضعف فيهم من خلال مخارج حروف الألفاظ حيث أن (الشين) تفيد التفشي والانتشار، أي تفشي الضعف والعجز فيهم.

والكسرة في (شتيم) أفادت اللين والانكسار.

ولقد ساهمت الصورة البديعية –أيضا– في إيضاح التشبيه حيث يوجد (مراعاة نظير) بين قوله: (جؤذر) و (ليث) وهما متناسبان، ومن واد واحد، ومتلازمان.

"ويجعل الكلام سلساً عذباً خالياً من الثغرات، كل لفظ يسكن إلى جاره ويطمئن إليه، فيكون كعقد اللؤلؤ المتناسق الحبات"(٣٠٩).

ثم يأتي الطباق المعنوي ين قوله: (الدهر في أبياتنا جؤذر) وبين قوله: "وهو ليث شتيم"، ففي قوله الأول كناية عن الضعف، وقوله الثاني: كناية عن

---

(٣٠٨) الحماسة في شعر الشريف الرضي / ١٣٩.
(٣٠٩) لباب البديع د / محمد حسن شرشر ص/ ٨٠، ط ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م .

القوة، وهذا الطباق قد أكد المعنى ووضحه[٣١٠]، وأكد على تقلب الدهر وعدم استقرار على حال واحد.

فالشاعر قد جمع بين المتناقضات ما بين الأمن والسرور، والغنى والخير، وما بين الواقع المرير والبؤس والفقر والشر الذي يعيشه الشاعر.

فالدلالة الرمزية واضحة جداً في كلامه و (الجؤذر) هي حالة الغنى الذي كان يعيش فيه الشاعر في كنف أبيه، والليث الشتيم هي الأيام التي سوف يعيشها الشاعر بعد سجن أبيه، وهي مريرة يملؤها الخوف والفقر والبؤس وذهاب كل أموالهم.

فالجؤذ رمز للطفولة السعيدة الهنيئة التي كان يعيشها ثم افتقدها شاعرنا بعد ذلك حينما قبض على أبيه وهو ما زال طفلاً، فاستعان الشاعر بالطبيعة المتحركة لكي تشاركه آلامه وأحزانه، وتخفف منها .

ويوجد تشبيه آخر يعبر عن قهر الأيام وغلبته وقوة افتراسها في قوله:

أيام نزجى من مواعيدنا ∴ ضراغما تفرس عدم العديم

هذا البيت يعد من باب الإطناب[٣١١]، الغرض منه الإيضاح بعد الإبهام، ماذا فعل فيهم الدهر وكيف تغلب عليهم؟

فأوضح بأن أيامه قد دفعت بالعهود التي أبرمتهم معهم قبل ذلك، فجعلتهم بعد أن كانوا أغنياء تبدل حالهم وأصبحوا فقراء، وليس فقراء فحسب، بل معدومين كذلك.

---

(٣١٠) ينظر: الألوان البديعية/ ٦٣، لباب البديع.

(٣١١) الإطناب: هو أداؤه بأكثر من عباراتهم المفتاح / ٢٧٧، أو هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة البلاغة العربية في ثوبها الجديد / بكري شيخ أمين ح١/١٨٣، ط٤ دار العلم للملايين ١٩٩٥م.

فالأيام غير مأمونة، فالزمن قد ذهب بكل ما يملكونه، كما يوجد مجاز مرسل فقد شبه الأيام في دفعها للعهود ونقضها لها بـ (ضراغما) ووجه الشبه هو الافتراس والشجاعة، والقوة في كل.

وهو تشبيه محذوف الوجه والأداة، فبذلك وضح المعنى وتأكد في ذهن السامع مع الإيجاز.

كما جاء المشبه به نكرة (ضراغما) للدلالة على قسوة تلك الأيام وشدتها.

وهذا التشبيه متناول ومتداول، إلا أن الشريف قد أضفى عليه جدة وعاطفة، حيث أنه لم يكتف بأن يشبه الأيام بـ (ضراغماً) فقط، بل قيده بالإضافة في قوله: (عدم العديم) ليبين مدى فقرهم وشدة احتياجهم، وذهب كل ما عندهم من مال، مثله مثل الأسد إذا وصل إلى مرحلة افتراس فريسته، ودق عنقها فقد قتلها وقهرها، ولا يستطيع أحد أن ينقذها منه.

ولذلك عبر بـ (تفرس) بالفعل المضارع للدلالة على استمرار تغلب الدهر والأيام عليهم، مع استحضار تلك الصورة.

فهم بمثابة فريسة الأسد التي تم افتراسها من خلال أحداث الزمان.

وتأتي بلاغته اللغوية ودقة مفرداته في أنه عبر بـ (ضراغماً) نكرة وجمعها للدلالة على المبالغة في قوتها وافتراسها والكثرة في كل فهي ليست ضرغاماً واحداً، بل عدة ضراغم مما يبين مدى تغلب الأيام وقهرها وشدتها، وهو لها عدم القدرة على مقاومتها أو التصدي لها، وإحاطة هموم الدهر بهم من كل مكان سواء فقد العائل والناصر وفقد المال.

وكذلك عبر بـ (العديم) على وزن (فعيل) للدلاة على المبالغة في الفقر وشدة حاجاتهم.

فهذان البيتان يخيم عليها جو الضعف والحزن والانكسار والاحتياج، وهو ما استطاع الشريف أن يعبر عن كل تلك المعاني عن طريق التشبيه بالأسد وغيره من النكات البلاغية.

ومن توظيف حالة من حالات الأسد عند الشاعر وهي حالة رقوده، للتعبير عن الضعف والعجز الغفلة والمباغتة والحزن والحيرة في تصوير لخطة القبض على أبيه في أثناء مدحه لأبيه "ويذكر مجلسه م المطهر بن عبد الله وزير عضد الدولة حين قبض عليه، وحُمل إلى فارس فحُبس في القلعة هو وابن معروف قاضي القضاة وكان عمر الشريف دون العشرين بكثير[٣١٢]، فيقول في قصيدة بعنوان "نصا في المعالي":

أو بعنوان: "يفرح الأعداء"[٣١٣]:

أقول لدهر تاه إذا صيد ليثه ∴ كذاك يصاد الليث والليث راقد

حيث شبه الشاعر أباه (بالليث) في قوله: "كذاك يصاد الليث والليث راقد" عن في قوله: (صيد ليثه) استعارة مكنية، حيث شبه أباه بشيء يصاد وحذف المشبه به ورمز للمشبه بشيء من لوازمه وهو (صيد) على سبيل الاستعارة المكنية، وهذه الاستعارة أوحت بالجلدة والضعف والمباغتة في كل، ثم وضح تلك الاستعارة بالتشبيه لأن هذا من ذاك في قوله: (كذلك يصاد الليث والليث راقد) حيث شبه أبيه حينما قبض عليه وابتلاه الدهر بتلك الحادثة، بالليث الذي سهل صيده بسبب نومه وغفلته، ووجه الشبه هو الغفلة والفجاءة والمباغتة في كل، والتشبيه أوحى بمدى الغدر والخيانة، ومدى صلابة أبيه وعدم تزعزعه.

ويمكن أن يكون قوله: "كذاك يصاد الليث والليث راقد" كناية عن الغفلة والمباغتة وعبر الشاعر باسم الإشارة (ذاك) للدلالة على بعد منزلة أبيه ورفعته

---

(٣١٢) الديوان ١/٣٩٠.
(٣١٣) الديوان ١/ ٣٩٠.

وعظمته[٣١٤]، فبالرغم مما حدث فهو شجاع وقوي ومتجلد، وهو تشبيه ضمني حيث لم يصرح بالرابط بين الطرفين بالأداة أو الوجه، ولكنه أومأ إلى التشبيه من بعيد لتفهم المشابهة من السياق وأشد تأثيراً، وأرسخ في الذهن وأثبت"[٣١٥].

دون التصريح به، والشيء إذا تنل بعد طلب وتفكير طويل، يكون أوقع في النفس ونلاحظ أنه كرر كلمة (الليث) أكثر من مرة ليدل على مدى "حزنه وفجعته"[٣١٦]، وليعبر به عن جانب من جوانب حزنه، ويعكس آلام النفس التي تشعر بفقدان الناصر والمعيل، فسجن أبيه كان بمثابة المصيبة فأراد أن يشارك من حوله في ذلك الإحساس من خلال ذلك التكرار ذلك التكرار، فلا ريب أن الإنسان إذا أصيب بمصيبة، فيفتخر صارخاً بكلمات يظل يكررها، والناس من حوله يحاولون أن يهدؤا من روعه[٣١٧].

ويقول صاحب المرشد عن فوائد التكرار: "هو وسيلة قوية التأثير لاقتراح اللون العاطفي الحزين ... والذكرى والتشوق"[٣١٨].

فانظر كيف عبر الشاعر عن حزنه وفجعته بالصورة البيانية سواء استعارة أو ، تشبيه أو كناية، ليشخص لنا مدى فداحة هذا الأمر وثقلها على نفسه، وهذا يدل على خياله الخصب.

---

(٣١٤) المطول / ٧٧، ٧٨، البلاغة في ثوبها الجديد / ١٢٩.
(٣١٥) علم البيان د / بسيوني فيود / ٩٤.
(٣١٦) العمدة لابن رشيق د/ النبوي عبد الواحد شعلان ٦٩٨/٢ وما بعدها الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ط١، ١٤٠١هـ – ٢٠٠٠م.
(٣١٧) ينظر: مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية (بنات بني سويف العدد الثاني ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م بحث ترقية بعنوان: "مرثية في موكب الوادع للإمام محمد متولي الشعراوي لمحمد رجب البيومي" دراسة بلاغية د / رمضان محمد عبدالغفار.
(٣١٨) المرشد في أشعار العرب وصناعتها د/ عبد الله المجذوب مكتبه البابي الحلبي وأولاده بمصر ط١، ١٣٧٤ه – ١٩٥٥م.

المبحث الرابع
خصائص التشبيه بالأسد في مقام التهديد والذم والهجاء

هناك أبيات يوجهها الشريف الرضى إلى أعدائه (فيها شدة تنحو منحى الهجاء... قصائد ومقطوعات تهدد وتنذر، وهى على قلتها تدل على ان هناك عدوات لقيها الرضى، خرجت به إلى طور الغضب الذى لا يملك امرؤ فيه إرادته)[٣١٩].

وحينما يهجو لا يقذع، وإنما يبرز معايب مهجوه، أو مهدده، أو الذى يذمه كضعف المهاجم ، والتعبير عن معانى الغلبة والقهر، ومنعته شجاعته وإبائه ، وشدة غضبه، وعدم تأثره بفعل غيره، وإرهاب من يقاتله من أعدائه، حتى يجعل من يفكر في مهاجمته أن يقلع عن الإقدام.

ومما ورد في الذم عند الشاعر وتوظيف التشبيه بالأسد للتعبير عن معاني الغلبة والقهر وضعف المهاجم، ما جاء عند الشاعر في قصيدة بعنوان: (سقاها) أو (نحن الناهضون إلى العلى) وقد جددت الخلع عليه بالنقابة فقال[٣٢٠]:

بلينا، نحن والناهضون إلى العلي ∴ بزمني يمنيها الغرور زمانها[٣٢١]

ذئاب أرادات أن تعازر ضيغما ∴ فطال على مر الزمان هوانها[٣٢٢]

لقد افتخر الشاعر بنفسه في أبيات سابقة على تلك الأبيات بعظيم الصفات من الذكاء والشجاعة والتطلع للمعالي، وكادت تطغى عليه روح الزهو والفخر، فصور الشاعر صورة الأسد، للتعبير عن غلبته وقهره، فشبه هيئة نفسه ومن

---

(٣١٩) ينظر الشريف حياته وشعره ٣٠١/٢ .
(٣٢٠) الديوان ٤٦٨/٢ وما بعدها.
(٣٢١) الزمني: أصحاب العاهات ورجل زمن أي مبتلي بين الزمانة والزمانة العاهة اللسان مادة (زمن). يمنيها: يمنيها منيت بكذا وكذا ابتليت به اللسان مادة (ابتلى).
(٣٢٢) الضيغم: الضغم ، وقيل: الواسع الشدق اللسان مادة (ضغم) الحيوان / ٧٥.

يتطلع لبلوغ العلي والمعالي، وابتلائهم بأصحاب العاهات في تطلعهم للمعالي – أيضا– وعجزهم عن تحقيق ذلك، بهيئة الذئاب التي أرادت أن تغلب الأسود القوية المخيفة المهيبة فعجزت، وقهرت، وغلبت، وذلت، ووجه الشبه: هو الهيئة الحاصلة من غلبة الخصم وقهره وضعف مهاجمه، أو "غلبة الشيء القوى وضعف الشيء (الضعيف) "، وهذا التشبيه يُعد تشبيها ضمنياً للتدليل عما أسنده للمشبه من غير تصريح، لأنه لمح من المعنى، فلو صرح لقال: "إنه هو والناهضون إلى العلي مثل/ الضيغم التي غلبت الذئاب".

فأتى بالدليل والبرهان على قهر أصحاب العاهات وعجزهم عن بلوغ ذلك العلي والمجد كما أن التشبيه الضمني(٣٢٣) أضفى على المعنى جمالاً، الشاعر عبر به "للتفنن في أساليب التعبير، والنزوع إلى الابتكار والتجديد، وإقامة البرهان على الحكم المراد إسناده إلى المشبه، والرغبة في إخفاء معالم التشبيه، لأنه كلما خفي التشبيه ودق كان أبلغ في النفس(٣٢٤)، ويعد هذا التشبيه –أيضا– تمثيلياً لأنه أبلغ من غيره للتعبير عما يحس به الشاعر من فخر وزهو بنفسه، "فالتمثيل الذي يجئ في أعقاب المعاني يرفع من أقدارها، ويحرك النفوس لها، ويدعو القلوب إليها .. تنقلها من خفي إلى جلي، وأن تنقلها من العقل إلى الإحساس، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام، مما يفيد الصحة، وينفي الريب والشك(٣٢٥).

كما ساعد مراعاة النظير بين (ذئاب والضيغم) على التناسب والتلاحم كما آزر الصورة التشبيهية، وساعد على إيضاحها وتأكيدها، ومن الذم –أيضا –

---

(٣٢٣) علم البيان عبد العزيز عتيق / ١٠٢.
(٣٢٤) ينظر علم البيان ، د . بسيوني فيود ١٣٣ .
(٣٢٥) القرآن والصورة البيانية د / عبد القادر حسين / ٤١، نقلاً من أسرار البلاغة ص / ١٢٨.

للإشارة إلى ضعف المهاجم قوله في قصيدة بعنوان: "لولا قوام الدين"[٣٢٦]، قالها يستعفي بهاء الدولة تدبير الأعمال التي ناطه به ويسأله صونه عنها ورفعه عن التلبس بها استثقالا لها وزهدًا فيها وذلك في ذي القعدة سنة ٤٠٠هـ.

يسلم كعب الرمح مستأخراً ∴ ويوقع الإقدام باللهذم[٣٢٧]

ما كان إقداماً، ولكنه ∴ تسرع العير على الضيغم[٣٢٨]

ومن توظيف التشبيه بالليث ومكانه للتعبير عن ذم قوم ووعيدهم للتعبير عن منعته وشدة غضبه حيث يقطن بمكانه وهو الأجمة فيقول في قصيدة بعنوان: "نعم ولا"، أو (ثياب عار) قالها في بعض الأغراض في رجب سنة ٣٩٠هـ[٣٢٩].

هيهات أعيا ما يرا قبله على الأمم

... سيان من قبل عصوا منكم ومن غذم[٣٣٠]

ومن سما بها مكم ∴ إلى العلي ومن وقم

جوامحا في العار لا ∴ بقيا ولا رعى ذمم

والليث لا يخرج إ ∴ لا مخرجا من الأجم[٣٣١]

كلذعة الميسم في ∴ شواظ نار وضرم[٣٣٢]

---

(٣٢٦) الديوان ٢ / ٣٦٩.

(٣٢٧) اللهذم: القاطع من الرماح والسيوف اللسان مادة (لهذم).

(٣٢٨) العير: الحمار اللسان مادة (عير)، الضيغم الأسد، العض الشديد، أو الأسد الواسع الشدقين، اللسان مادة (ضغم)، والحيوان / ٧٥.

(٣٢٩) الديوان ٣٤٧/٢.

(٣٣٠) عذم: عض، وقم قهر أذل.

(٣٣١) أخرجتني: ألجأتني مكرها.

(٣٣٢) الميسم: المكواة اللسان مادة (سيم)، الشواظ: لهب لا دخان فيه اللسان مادة (شوظ).الضريم والضرام اشتعال الضرم، الضاد والراء والميم أصل صحيح يدل على حرارة والتهاب اشتعال النار مقاييس اللغة مادة (ضرم).

في تلك الأبيات أراد الشاعر أن يذم قوم ويتوعدهم، فلجأ إلى التشبيه بالأسد ومكانه، للتعبير عن شدة غضبه وعن منعته، حيث إنه يقطن في مكانه المنيع وهو الأجم، ولا يستطيع أحداً أن يخرجه من مكانه، فإن من يحاول أن يخرجه من مكانه، يكون كما جعل المكواة في مكان به نار ولهب فلا يكون له أثر ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من قوة المهاجم ومنعته وعدم التأثر بمهاجمه وضعفه في كل.

وهذا التشبيه يُعد تشبيهاً ضمنيًا لأنه أراد أن يثبت معنى وأتى بالدليل عليه، وإن كانت الأداة موجودة، والتشبيه الضمني بليغ لأن الشيء إذا نيل بعد احتيال ومعاناة التوسل إليه كان نيله أحلى، وموقعه في النفس ألذ وأشهى(٣٣٣)"، ولقد ساهم القصر بالنفي والاستثناء في قوله: "لا يخرج إلا مخرجاً" على التأكيد والمبالغة وجمال التشبيه أي أنت لا تخرج واختار الكاف لما بينهما من قرب المشابهة.

يوجد استعارة في كلمة (الليث) حيث استعار (الليث) لنفسه بجامع الشجاعة والجرأة والإقدام وشدة البأس في كل، واستطاعت الاستعارة أن تكون أشد اختصاراً وإيجازاً"(٣٣٤).

وأن تصور لنا الشيء المعنوي، وهو الشجاعة والقوة والجلدة والجرأة بصورة محسوسة بصورة الأسد، فكأنه أسدًا حقيقة، ثم أراد أن يبين ويوضح الاستعارة بالتشبيه لأن هذا من ذاك، فكأن الذي يريد أن يخرج الشاعر أو يتوعده يكون كمن أراد أن يخرج أسدًا حقيقياً من أجمته، ليدل بذلك على مدى قوته التي لا يستهان بها، والتشبيه أوحى بمدى قوته ومنعته، فيبعث في مهاجمة الإحساس

---

(٣٣٣) نظرية البيان بين عبد القاهر والمتأخرين د/ حسن عبد الرازق/ ١٧٠ مؤسسة الرسالة.

(٣٣٤) ينظر: المرجع السابق، ص / ٣٠.

بالخوف والضعف والذلة كما قال الإمام عبد القاهرة الجرجاني عن فائدة التشبيه التمثيلي بأنه "إذا كان ذماً كان مسه أوجع"(٣٣٥).

ونجد "قول الشريف في الوعيد والليث "لا يخرج إلا مخرجًا من الأجم" مأخوذ من قول أبي تمام(٣٣٦):

أخرجتموه بكرة من سجتيه ∴ والنار قد تنتضى من ناظر السلم

أو طأتموه على جمر العقوق ولو ∴ لم يخرج الليث لم يبرح من الأجم

ولقد علق الدكتور محمد عبد الغني على هذا بأنه ليس "بعيب الشريف أنه استحسن بعض معاني غيره وتصرف بها ببراعة، أو أنه تأثر ببعض عبارات غيره من الشعراء"(٣٣٧).

وشهد بذلك د/ جميل شلش حيث يقول :

"وهذه الظاهرة في شعر الرضى لا تدل على ضعف في الشاعرية، ونضوب في الفكر و الخيال"(٣٣٨) "فمن عبر عن معنى متداول بأحسن عبارة وأبلغها، فكأنه مبتدئه ومنشئه، وما يضيره أن سبق إليه إذا كان منفردا بإحسان العبارة عنه فحظ العبارة في الشعر أقوى من حظ المعنى"(٣٣٩).

---

(٣٣٥) أسرار البلاغة /٧٠ .

(٣٣٦) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي تحقيق د/ محمد عبده عزام ١٨٩/٣، دار المعارف بمصر.

(٣٣٧) الشريف الرضي / ٧٧.

(٣٣٨) الحماسة في شعر الشريف الرضي/ ٢٢٨ .

(٣٣٩) ينظر:طيف الخيال د/كمال الصيرفي ص/١٣٤ ط دار احياء الكتب"بتصرف".

ومن توظيفه لمكان الأسد للإشارة إلى التهديد والهجاء بضعف المهاجم، وعزة الشاعر وشجاعته وإبائه، وشدة قتله ومنعة وحصانته قوله في قصيدة بعنوان "أبا هرم" حيث يقول(٣٤٠):

أبا هرم أنحها، إنني ∴ سأمطرها عن قليل دما

ولا تشمخن بأنف الأبي ∴ فأولى لأنفك أن يرغما

وإنك يوم تنزي علي ∴ وتبغي لي المؤيد الصيلما(٣٤١)

كما صارع الأسد المستغير ∴ ر في الغاب، أو ساور الأرقما(٣٤٢)

بدأت فعقبت في المعضلات ∴ وكنت أرى البادي الأظلما

ويتضح ذلك من بداية القصيدة في قوله:

أبا هرم أنحها إنني ∴ سأمطرها عن قليل دما

يتضح من تلك الأبيات أن -الشريف الرضي- يهدد ويتوعد شخصاً يسمى (أبا هرم) ربما كانت بينه وبين الشريف عداوة فهناك "عداوات لقيها الرضي، خرجت به إلى طور الغضب الذي لا يملك امرؤ فيه إرادته"(٣٤٣).

فاستطاع الشاعر أن يوظف من مكان الأسد ليعبر به عن شجاعته وقوة شكيمته ومنعته ورهبته، فشبه هيئة أبا هرم حينما يريد أن يوقع الضرر به

---

(٣٤٠) الديوان ٢ / ٣٠٩، ٣١٠.

(٣٤١) المؤيد: الأمر العظيم، الديون ٣٠٩/٢، الداهية، الصيلم: الداهية لأنها تصطلم ويسمى السيف صيلما..الداهية..أمر صيلم شديد مستأصل، اللسان مادة(صيلم).

(٣٤٢) المستغير: المغار: شديد القتل المفضليات / ٣٤٤، الأرقم: الحية التي فيه نقط المفضليات ٣٤٥، أو هي أخبث الحياة وأطلبها للناس، أو ما فيه سواد وبياض، أو ذكر الحيات ينظر القاموس ١٢٣/٤.

(٣٤٣) الشريف حياته وشعره ٣٠١/٢.

وإيقاع الشر به، أو فكر أن يقاتله بسيفه، كان كمن يريد أن يصارع الأسد وليس مطلق أسد بل الأسد المستغير في الغاب، "لشدته وقوته"(٣٤٤).

ووجه الشبه هو: "الهيئة الحاصلة من قوة الافتراس والتخفي وراء شيء محصن ممنع وضعف من يهاجمه مع الرهبة والخوف في كل".

ويريد الأسد نفسه، لأنه يشاركه في شجاعته وجرأته وقوته فانظر إلى ذلك القيد وهو الوصف (بالمستغير) والجار والمجرور (في الغاب) كيف أضفى جمالاً وبهاء على المعنى، وأخرجه من طور الابتذال إلى طور الغرابة والجمال، ذلك لأن الأسد حينما يكون في الغاب، يكون أكثر شدة وشراسة، وقدرة على التخفي بواسطة الأشجار الكثيفة التي تغطيه، ويكون في أتم الاستعداد للهجوم على فريسته.

وانظر إلى جمال تعبيرات الشريف حينما عبر بـ (المستغير) لإفادة المبالغة في التخفي وشدة القتل، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، كما عبر باسم الفاعل في (صارع) للدلالة على المشاركة وأن الفوز أتى بعد جهد ومشقة ومقاومة من الطرف الآخر، فنجد أن المشهد مفعم بالحركة والحيوية والجدة والمشاعر الصادقة التي يعلوها الزهو والفخر، ويجوز أن يكون التعبير كناية قد ساهمت في جودة التشبيه لأنها كدعوى ببينة" (٣٤٥).

ويجوز أن في العبارة تعريض بضعف هذا الشخص وذله.

ثم عطف الشريف على ذلك التشبيه تشبيه آخر وهو قوله: (أو ساور الأرقما) فشبه الشريف نفسه حينما يريد أبا هرم أن يؤذيه أو يقاتله بمن ساور الأرقما، ووجه الشبه هو شدة الإيذاء الخبث والدهاء في كل.

---

(٣٤٤) اللسان ٣٣٢٣/٥.
(٣٤٥) عقود الجمان للسيوطي ص ١٠٤ .

واختار الشريف (الأرقم) من بين أسماء الحيات، وأراد بها نفسه لأنها أخبث الحيات وأطلبها للناس[٣٤٦]، مما يدل على أن الناس تهاب الشريف كما "تهاب الأسد والأفعى"[٣٤٧].

فوصف الشريف نفسه بوصفين للدلالة على غزارة ما يمتاز به من صفات وعلى حماسته، وقد ساعد تشبيه الجمع[٣٤٨] الذي أتى به على "الإيجاز في التعبير وحسن التنسيق والجمع بين التشبيهات المتجانسة في تعبير واحد" وتشبيه الجمع قد استحللنه قدامة بن جعفر لما فيه من تشبيهات كثيرة في واحد وألفاظ يسيرة[٣٤٩]، أي أنه يفيد الإيجاز.

ومما ساهم في مساعدة التشبيه ومدى خياله الخصب هو مراعاة النظير ما بين الأسد والأرقما والغاب في أنهما من واد واحد، وبينها تناسب ما بين الأسد والأرقم ونفسه.

وما بين الـ "صارع" و"ساور" الموازنة قد ساعدت على التنغيم الموسيقى، وهذه المحسنات البديعية أتت فطرية وعفوا الخاطر، وتطلبها المقام.

أسقط من إيماننا الكعابا ∴ وبزنا أرواحنا إغصابا[٣٥٠]

لا طعن نستطيع ولا ضرابا ∴ مقتحم على الأسود الغابا[٣٥١]

---

(٣٤٦) القاموس المحيط ١٢٣/٤.
(٣٤٧) المفضليات / ٣١٣ (بتصرف).
(٣٤٨) علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان د / بسيوني فيود/ ٤٨، ط٢، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
(٣٤٩) نقد الشعر لقدامه بن جعفر ص/ ٣٧ مطبعة الخانجي.
(٣٥٠) الأيمان جمع يمين ضد اليسار اللسان مادة (يمن) بزنا من البز: أخذ الشيء بالقهر والغلبة، اللسان مادة (بزا).
(٣٥١) الغابا: الغاب القصب ثم قيل لكل ملتفت غاب، المفضليات/٥٠.

أراد الشاعر في البيتين الأخيرين أن يرهب ويخيف من يقاتله من أعدائـــه، من الإقدام على محاربة هؤلاء الفرسان، وتصوير ذلك من خلال توظيف التشـــبيه بمكان الأسد، ينقل لنا تلك الصورة بصورة مرعبة ، فيجعل من يفكر أن يهاجمهم أن يقلعوا عن الإقدام.

فشبه من يقدم على قتال هؤلاء الفرسان الشجعان وهم عاجزون عن قتالهم، بصورة من يقتحم على الأسود الغابا، ووجه الشبه هو قوة من يقاتل وضعف من يهاجمه مع العزة والمنعة في كل.

ونجد جمال التشبيه في تلك الأبيات قد أتى من أكثـــر مـــن جهـــة، وهـــي اشتمالها مثلا على التشبيه الضمني حيث أتى بدليل قوتهم وعجز مهاجميهم، هو أنهم لا يستطيعون اقتحام الأسود في الغاب، و-أيضا- نجد أنه عبر بـــ (مقتحم) على وزن (مفعل) للمبالغة في التكلف والثقل، والاقتحام فالإقدام على محـــاربتهم وقتالهم أمر صعب جداً، وتقديم الجار والمجرور في قوله: (على الأســـود) أفـــاد قصر الشجاعة على هؤلاء الفتية، وأيضا – يمكن أن نعد هذا التشبيه مقيداً، حيث قيد المشبه به بأكثر من قيد وهو الجار والمجرور فـــي قولـــه (علـــى الأســـود) والإضافة في قوله: (أسود الغابا) فليس المراد مطلق الاقتحام على الأســـود، بـــل الأسود الموجودة في الغاب، لأنها تكون أكثر شراسة ومنعة وشوكة، ولأن الغاب هو المكان الذي تحبه الأسود وتألفه، وسهولة السيطرة على فريسته مـــن خـــلال التخفي وراء تلك الأشجار الكثيفة، وجمع الأسود للدلالة على كثرتهم.

ويمكن أن يكون قوله (أسود) استعارة للشجعان مبالغة في قوتهم وجرأتهم وشجاعتهم وصعوبة مقاومتهم.

كما يمكن أن يكون قوله: (مقتحم على الأسود الغابا) كنايـــة عـــن المنعـــة والشجاعة والملازمة.

وتأتي المحسنات البديعية الفطرية التي استدعاها المقـــام، وهـــو مراعـــاة النظير في قوله: (طعن وضرابا) في المشبه وقوله: (الأسود والغابا) في جانـــب

المشبه به، وذلك لأن الطعن والضرب أمور متناسبة ونفيهما أدى إلى العجز عن المقاومة، وهي من أهم الأشياء في الحرب والدفاع و-أيضا- (الأسود والغابا) كانت أمور متناسبة لإثبات القوة والمنعة، وأدت إلى الترابط والتلاحم بين الكلمات، وساهمت بدور كبير في إيضاح التشبيه وبيانه، فكل هذه النكات البلاغية لا تعارض بينها، بل تتأزر وتتلاحم وتتعاضد.

الفصل الثاني
خصائص التشبيه بالأسد في ديوان الشريف الرضي
المبحث الأول
الموازنة بين أبي تمام والشريف الرضي في التشبيه بالأسد

نبذة مختصرة عن أبي تمام

مولده: ولد سنة "تسعين ومائة"[٣٥٢]، وقيل: "سنة ثمان وثمانين ومائة".

نسبه ونشأته:

هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي أبو تمام الشاعر الأديب أحد أمراء البيان.

ولد في جاسم[٣٥٣]، (من قرى حوار بسورية)، ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه وقدمه على شعراء وقته، فأقام في العراق، ثم ولى بريد الموصل فلم يتم سنتين حتى توفى بها"[٣٥٤].

صفاته:

"كان أسمر طويلاً، فصيحاً، حلو الكلام، فيه تمتمة يسيرة، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطيع"[٣٥٥].

مؤلفاته:

لأبي تمام مؤلفات كثيرة معظمها خدم الأدب والأدباء منها:

---

(٣٥٢) أبو تمام حياته وشعره د / نجيب محمد البهبيتي / ٤٩ ط٢ دار الفكر مكتبة الخانجي – ١٩٧٠م.

(٣٥٣) جاسم: بطن من الرسالين، من البطنيات، من الأسبعة من عبيد، من بشر من عنزة يقضون الصيف في المنطقة الشرقية من حمص، والشتاء في أعالي وادي حوران، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة د / عمر رضا كحالة ١٥٧/١ ط١ مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤١٤ ه، ١٩٩٤م.

(٣٥٤) الأعلام للزركلي ١٦٥/٢.

(٣٥٥) ينظر: الأعلام ٢ / ١٦٥.

"فحول الشعراء – خ"، و"ديوان الحماسة – ط"، "مختار أشعار القبائل" ... و"نقائض جرير والأخطل" .. و"ديوان شعره – ط"[٣٥٦].

شاعريته:

أبو تمام يُعد بحق من أمراء البيان، وعلم من أعلام الشعراء المجيدين فقد كان شعره يمتاز "بقوة وجزالة"[٣٥٧]، تزاوج حسه وعقله، ففن أبي تمام يجري فيه الفكر والشعور جنباً إلى جنب لا يفترقان، ..فأبو تمام يرى الأشياء والأحداث بأرق الحواس وأعرقها في الشاعرية، فإذا فرغ عنده عمل الحاسة بدأ لم العقل، فيأخذ في تحليل مشاعره، والضرب في أنحائها، حتى إذا وجد المعاني التي يبغيها، فنظمها، ورتبها، انقلب إلى إبرازها في ألفاظ يرصها في تؤده، وينمقها في اطمئنان، فيلائم بين أجراسها ، وألوانها، ويقابل بين الفكرتين، ويراعى اللفظ وقسميه، وهو يسير فيها بفكرة واضحة، يكمل البيت ما سبق إليه أخوه، فما يكاد يفرغ في القصيدة حتى يكون قد أخرج للناس موضوعاً واحداً متماسكاً، تجري فيه فكرة واحدة"[٣٥٨].

وكان بحق يستحق تقديم النقاد له فقد قال عنه صاحب كتاب أخبار أبي تمام: "ليس أحد من الشعراء –أعزك الله– يعمل المعاني ويخترعها، ويتكئ على نفسه فيها أكثر من أبي تمام، ومتى أخذ معنى زاد عليه، ووشحه ببديعه، وتمم معناه، فكان أحق به"[٣٥٩].

---

(٣٥٦) المرجع السابق، ١٦٥/٢.
(٣٥٧) المرجع السابق، ١٦٥/٢.
(٣٥٨) أبو تمام حياته وشعره / ١٥.
(٣٥٩) أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي نشره وحققه د / خليل محمود عساكر، د/محمد عبده عزام، د / نظير الإسلام الهندي، ٥٣، ط١ – القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٦ه – ١٩٣٧م.

وفاته: "مات بالموصل في المحرم سنة اثنين وثلاثين ومائتين"(٣٦٠).

التشبيه بالأسد في مقام المدح عند الرضى وأبي تمام

لا شك أن تشبيه الممدوحين بالأسد –عند الرضى وأبي تمام– شائع ومتعارف، وذلك أنه الأصل في التشبيه، وما ورد من أسماء للأسد إنما هو تبع له كالليث، والضرغام، والشجاع، والضيغم وغيره.

غير أن لكل اسم خصيصة تميزه عن غيره، وخاصة حينما يلحق بالاسم قيد يقويه ويزيد في معناه الحامل لمعاني الشجاعة والجسارة ومن ذلك قول الرضى يمدح أمير المؤمنين القادر بالله وفيها يضف مجلسه(٣٦١):

وكأنما فوقَ السريرِ وقد سما ∴ أسدٌ على نشزاتِ غابٍ مُطْرِقِ (٣٦٢)

وقال أبو تمام يمدح المعتصم بالله بعد فتح عمورية(٣٦٣):

تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجتْ ∴ أعمارُهم قبل نُضْج التينِ والعنبِ

مدح كل واحد منهما صاحبه بما يدل على القوة وشدة البأس فجعل الرضى القادر بالله أسدًا، وجعل أبو تمام جيش المعتصم (كآساد الشرى) ومع هذا فالمقام في كل مختلف عن الآخر، فالأول يصف مجلس القادر بالله في حال سكونه وصفائه، والناس يلتفون من حوله.

---

(٣٦٠) أخبار أبي تمام / ٢٧٣.

(٣٦١) الديوان ٣٩/٢.

(٣٦٢) السرير: الذي يجلس عليه اللسان مادة (سرر) نشز: ما ارتفع عن الوادي إلى الأرض، وليس بالغليظ والجمع أنشاز. مطرق: موضع... قيل للعدو مطرق اللسان مادة (طرق) الغاب: الغابة: الجمع من الناس، الغابة الأجمة التي طالت ولها أطراف مرتفعة باسقة.. الأجمة ذات الشجر المتكاثف لأنها تغيب ما فيها اللسان مادة (غيب).

(٣٦٣) ديوان أبو تمام ٦٩/١.

فالتشبيه بالأسد في حال سكون الممدوح وصفائه يفيد أنه أشد وطأة وجسارة في الحرب.

أما أبو تمام فإنه يشبه الجنود في الحرب بالآساد وهو متوارث شائع ويقتضيه المقام بالأحرى والأوْلى.

ويلحظ أن الرضى قد جمع بين صفتي الشجاعة والعلو في آن واحد. دل على هذا قوله: (وقد سما)، وقوله: (أسد) وهذا من الصنعة. كما أنه نكَّر المشبه به (أسد) والتنكير هنا للتعظيم(٣٦٤).

أما أبو تمام فقد عرف المشبه به (كآساد الشرى) بالتقييد بالإضافة إلى المعرفة، وقد طُعن على بيت أبي تمام أنه ذكر (التينَ والعنبَ) فقد قيل: "لأن التين والعنب ليس مما يُذكر في الشعر وأنه مستهجن"(٣٦٥).

ويمكن الرد عليه بأن هناك داع لذكرهما في شاهده حيث ادعى بعضهم أن الأعداء قالوا: "إن أقاموا إلى زمان التين والعنب لم يفلت منهم أحد" فبلغ المعتصم قولهم فقال: أرجو أن يكفيني الله أمرهم قبل نضج التين والعنب" (٣٦٦).

فجاء قول أبي تمام موافقًا للمقام وهي البلاغة بعينها.

ويلحظ في بيت أبي تمام المبالغة حيث جعل كل واحد من التسعين (ألفًا أسدًا) من (آساد الشرى)، وأن أعمارهم قد نضجت وصاروا أُسْدًا بواسل قبل نضج التين والعنب.

وقد استخدم الرضى أداة التشبيه "كأن" ومعلوم بلاغة "كأن" تستخدم حينما يقوى الشبه بين الطرفين"(٣٦٧).

---

(٣٦٤) المطول لسعد الدين التفتازاني ص/٨٨، ٨٩ المكتبة الأزهرية للتراث - ١٣٣٠هـ.
(٣٦٥) ديوان أبي تمام ٦٩/١.
(٣٦٦) المرجع السابق ٦٩/١.
(٣٦٧) القرآن والصورة البيانية/٧٤.

أما أبو تمام فقد استخدم "الكاف" وهي أضعف من "كأن" إلا أن هناك وسائل أخرى قد قَوَّتْ التشبيه وزادته بيانا من ذلك أنه أضاف للمشبه به النكرة للمعرفة بالألف واللام.

ومن تشبيه الممدوحين بالآساد في مدائح الرضى وأبي تمام قول الأول[٣٦٨]:

وكم خاض تامور الظلام بفتيةٍ، ∴ يرون وعورَ الليل مثلَ سهولِ[٣٦٩]

تنوش أنابيب الرماح وراَءهمْ ∴ كَأُسْدٍ تماشيها جوانبُ غِيْلِ [٣٧٠]

وقول أبي تمام يمدح المعتصم ويذكر فتح الخرَّمية[٣٧١]:

يا يوم أرشق كنت رشق قنيةٍ ∴ للخرميِّة صائبُ الآجالِ [٣٧٢]

أسرى بنو الإسلام فيه وأدلجوا ∴ بقلوبِ أُسدٍ في صدورِ رجالِ

لو تأملنا الصورتين التشبيهتين وجدنا أنهما ينتهيان إلى سياق واحد هو سياق الحرب، وخوض الأهوال والمحن الجسام.

فالفتية عند الرضى يخوضون المعارك في ظلمة الليل البهيم ولا يهابون الصعاب، وينظرون إلى الصعب على أنه هيِّن لأن غايتهم نبيلة وقلوبهم جاسرة يرون الجبال الوعرة سهولاً في ظلمة الليل قال: "يرون وعور الليل مثل سهول" وهو أمر ليس بالسهولة بمكان، كما أنهم فتية شجعان تتكسر الرماح وراءهم، وكأنهم في هيئتهم في قوتهم وشجاعتهم وقد تكسرت الرماح وراءهم هيئة أسود قوية شرسة متحصنة في غيلها في شجر ملتف كثيف كثير.

---

(٣٦٨) الديوان ١٤٠/٢.

(٣٦٩) تأمور الظلام: قلبه اللسان مادة (تمر) يريد أنه أسد في شدة قلبه وشجاعته.

(٣٧٠) تنوش: تقضم، تكسر – الغيل: مبيت ال أسد، الأجمة وموضع الأسد غيل.. الغيل: الشجر الملتف مادة (غيل) الصحاح ١٧٨٧/٥. وهامش الديوان.

(٣٧١) ديوان أبي تمام ١٣٥/٣.

(٣٧٢) أرشق بالفتح ثم السكون وفتح الشين المعجمة وقاف جبل بأرض موقان من نواحي أذربيجان عند البذ مدينة بابك الخُزِّمي، معجم قبائل العرب ١٩٢/١.

والجامع المنعة والحصانة المترتبة على التحصن.

والتشبيه مركب من هيئة جامعة.

كما أن تشبيه أبي تمام مكون من هيئة مركبة إذ جعل جيش المعتصم في إسرائهم بجهد يسير في قوة وجسارة، وكأن قلوبهم قلوب أسد في صدور رجال، ولا يخفى أن في تكون التشبيه من هيئة مركبة له وقعه في توضيح الصورة، وبيان دقائقها على وجه التفصيل.

ويحمد للرضى أنه جعل جوانب الغيل وهو الشجر الكثير الملتف هو الذي يماشي الفتية في سيرهم، ولا يخفى ما في ذلك من مبالغة محمودة مقبولة.

كما يحمد له أنه فتية الممدوحين يجعلون العسير يسيرا وهو من المبالغة أيضا قال: "يرون وعور الليل مثل سهول".

وقال عن مما شاة الشجر لهم لـ كأسد تماشيها جوانب غيل) فالتفصيل أكسبنا مبالغة في المشبه به هنا، وأكسب مبالغة في المشبه هناك.

كما أن تكسَّرَ الرماح وراءهم له دلالته البيانية؛ لأنه دال على عدم تمكن الأعداء منهم وظفرهم على عدوهم. قال: (تنوش أنابيب الرماح وراءهم).

كما لا يخفى ما في المبالغة في قول أبي تمام كذلك (بقلوب أسد في صدور رجال)، دلالة على جسارتها وجرأتها في اقتحام الأهوال والمصاعب.

كما أن بين قوله: (وعور وسهول) طباق تضاد يشي باستواء الأمور الصعبة واللينة أمام الممدوحين.

ولا شك أن في تنكير الرضى للمشبه (بفتية) يفيد تعظيم شأنهم فليسوا فتية عاديين، بل هم عظماء يقتحمون مهامة الصحراء مقبلين على الرمى والحرب غير آبهين بالعواقب.

كما أن في تنكير القيد في قول أبي تمام (بقلوب أسْد) ما يوحي بتعظيم الأسد وكان مما يمكنه أن يقول: (بقلوب أسد) ما يوحي بتعظيم الأسد، وكان مما

يمكنه أن يقول (بقلوب الأسد) إلا أن في التنكير مزيد تأكيد لمعاني القوة والشدة للأُسْد.

وكما شبه الرضى وأبو تمام الممدوح بالأسد والليث تراهما قد نوَّعا في التصوير إذ جعل الممدوح تارة كالضرغام أو الشجاع أو الضيغم، أو ملغم بالأشداق.

أما أبو تمام فباستقصاء شواهده في المديح يلحظ أنه يسلط تصويره مع التشبيه بالأسد والليث دونما تنويع.

قال الرضى يمدح بهاء الدولة الملك ويهنؤه بشهر الصيام [٣٧٣]

وقلب كالشجاعِ يسورُ عزمًا ∴ ويجذبُ بالعلى جذبَ الرِّشاء[٣٧٤]

ومنه قوله[٣٧٥]:

قد أصحر الضيغمُ من غيلهِ ∴ أظفورُه منك على مطمعِ

غضبانُ قد غرَّك همهامُه ∴ على مجازي اللقم المهيعِ

كم فيك من خرقٍ لأظفارِه ∴ كملغمِ الأشداقِ لم يرقعِ

ومنه قوله يصف جند المعتصم في فتنة ظلماء[٣٧٦]:

أسرى بنوا لإسلام فيه وأدلجوا ∴ بقلوب أسدٍ في صدور رجالِ

قد شمروا عن سوقهم في ساعةٍ ∴ أمرَّتْ إزارَ الحرب بالإسبالِ

وكف كالغمام يفيض حتى ∴ يعم الأرض من كلأ وماء[٣٧٧]

---

(٣٧٣) الديوان ١٦/١.

(٣٧٤) الشجاع: من أسماء الأسد، شدة القلب في البأس، الأشجع من الرجال مثل الشجاع، ويقال للذي خفة كالهوج لقوته، .... ويسمى به الأسد ويقال للأسد: أشجع اللسان مادة (شجع): يسور: يثب اللسان مادة (سور)، الرشاء: الحبل اللسان مادة (رشا).

(٣٧٥) ديوان الشريف الرضى ٥٤٨/١.

(٣٧٦) ديوان أبي تمام ١٣٥/٣.

(٣٧٧) الكلأ: العشب اللسان مادة (عشب).

وقال الرضى يمدح الطائع بالله[٣٧٨]:

والخيـــــل عابســـــة تجـــــ ∴ ـــــر مـــن العجـــاج بهـــا ذيـــولا

أجتـــــاب عارضـــــها وقـــــد ∴ رحـــــل المنـــــون بـــــه همـــــولا

كالثـــــــائر الضـــــــرغام إن ∴ لـــــبس الـــــوغى دق الـــــرّعيلا

وقال يمدح بهاء الدولة[٣٧٩]:

كـــم فيـــك مـــن خـــرق لأظفـــاره ∴ كملغـــم الأشـــداق لم يرقـــع[٣٨٠]

وهكذا تجد التنويع شائعًا في تصوير الممدوح وكل صورة لها خصائصها الفنية والبيانية والبلاغية واللغوية.

قال الشريف الرضى يمدح الطائع بالله [٣٨١]:

هـو الليـث لا مسـتنهضٌ عـن فريسـة ∴ ولا راجـعٌ عـن فرصـة لحيـاءِ

ولا عزمُـــه في فعلـــه بمـــذلَّل ∴ ولا مشـــيُه في فتكـــهِ بضـــراءِ[٣٨٢]

وقال أبو تمام يمدح خالد بن يزيد الشيباني[٣٨٣]:

كالبـــدر حســـنًا وقـــد يعـــاوده ∴ عبـــوس ليـــث العـــرين في عبـــده![٣٨٤]

---

(٣٧٨) الديوان ١٧٦/٢.
(٣٧٩) الديوان ٥٤٨/١.
(٣٨٠) الملغم: الفم اللسان مادة (لغم).
(٣٨١) الديوان: ١٠/١.
(٣٨٢) الضراء: التخفي وراء الأشجار أثناء السير هامش الديوان، اللسان مادة (ضر).
(٣٨٣) ديوان أبي تمام ٤٤٠/١.
(٣٨٤) العبد: العين والباء والدال أصلان صحيحان، كأنهما متضادان الأول: يدل على لين وذل، والآخر: على شدة وغلظ.. والأصل الآخر العبدة، وهي القوة والصلابة .. العبد، مثل الأنف والحمية مقاييس اللغة ٣٠٥/٤ وما بعدها. مادة(عبد) ولسان العرب مادة (عبد).

في شاهدي الشريف وأبي تمام أوجه تشابه واختلاف، فلكل منهما صنعته الفنية والبيانية في أداء ذلك المعنى الواحد، المتلخص في مدح الطائع بالله والشيباني بالشجاعة والجسارة فكلاهما يمدح والمدح بالشجاعة، وكلاهما يشبه الممدوح بالليث، وكلاهما يمزج بين الشجاعة والكرم، كما أنهما لم يستخدما في التشبيه بالليث أداة تشبيه، كما أنهما أتيا بوصفي الشجاعة والحسن في لوحة شعرية واحدة.

غير أن تلك الأوجه المتشابهة لا تتحد في كل وجه بما يبرز الصنعة الفنية لكل واحد منهما، فضلاً عن أوجه الاختلاف الصريحة.

يقول الرضى مادحًا الطائع بالله وهو خليفة عباسي: (هو الليث)، ويقول أبو تمام: (وقد يعاوده عُبُوسُ ليث العرين).

لقد أظهر الشاعران شجاعة ممد وحيهما عن طريق الإشارة للمشبه بضمير الغيبة، حيث عبَّر الرضى بالضمير (هو) وعبر أبو تمام عنه بهاء الغيبة في قوله: (يعادوه)، ومعلوم أن الضمير أعرف المعارف، وعبَّرا به للعلم ولشهرته إذ لا يخفى الممدوح على أحد. ممن يرى أو يسمع به، وقد تنوع المشبه به إذ جاء عند أبي تمام (وليث العرين في عبوسه) جمع بين وصفين متضادين في بيت واحد. وهو من البراعة بمكان فجعل الممدوح كالبدر حسنا حال الرضا وكالليث العبوس عند الغضب.

وهذا من الصنعة غير أن تشبيه الرضى الممدوح بالليث أبلغ إذ جعل الممدوح كالليث من كل وجه فكأنه الليث الكامل في كل حركاته وسكناته وصفاته.

وخص أبو تمام حالتي الرضا والغضب دون غيرهما.

ويحمل التشبيه بالليث خاصة معاني الشجاعة ويزيد الليث شجاعة حينما يكون في عرينه إذ يحتمى به ولا يخشى من أحد.

وهو من صنعة أبي تمام.

غير أن للرضى فضل البيان في تقييده للمشبه به بقوله: (لا مستنهض عن فريسة)، وما تلاه من قيود تهدف لإظهار شجاعة الممدوح.

ويعود كل هذا على الممدوح بإثبات تمكن شجاعته وشدة عزمه وقوته وهذا متكافئ مع مدح الخلفاء إذا الممدوح خليفة وما يمتدح به الملوك والخلفاء غير ما يمدح به غيرهم.

وبهذا تظهر المبالغة واضحة في لوحة الرضى الشعرية.

كما يوحي قوله:

هو الليث لا مستنهض عن فريسة ∴ ولا راجع عن فرصة لحياء

ولا عزمه عن فعله بمذلل...الخ بتمكنه من تلك الأوصاف وأنه لا يترك فريسة ولا فرصة ولا عزما إلا وحقق منه مراده وظفر بمأموله منه.

ويزيد الرضى عن أبي تمام في أنه أتى (بالتشبيه البليغ) [٣٨٥] فحذف الوجه والأداة، ومعلوم أنه حذفهما يفيد قوة الشبه بين الطرفين، وكأنهما شيء واحد لا يفترقان.

وعرَّف الرضى المشبه به بـ(أل) التي تفيد كمال الصفة في المشبه به، وكأن الممدوح كالليث الكامل في شجاعته وقوته وشدة بأسه.

واتحد الشاعران في بيان صفتي الحسن والشجاعة في آن واحد في قول الرضى[٣٨٦]:

ووجه لو أنّ البدرَ يحمل شُبهة ∴ أضاء الليالي من سَنى وسناءِ [٣٨٧]

---

(٣٨٥) التشبيه البليغ هو: حذف الأداة ووجه الشبه ينظر: علم البيان د/ بسيوني فيود/ ٥٦.

(٣٨٦) الديوان ١٠/١.

(٣٨٧) السني: النور، السناء الرفعة، اللسان مادة (سنى) يلاحظ، جنوح الشاعر إلى المبالغة، إذ يحرص على رفع الممدوح إلى مرتبة المثال، والمبالغة غير غريبة عن الشعر العباسي بعامة هامش الديوان.

وقول أبي تمام من نفس صورة الشاهد : (كالبدر حسناً).

فكلاهما أضاف الحسن للشجاعة بيد أن لأبي تمام فضل الجمع بين الوصفين في بيت واحد.

وزاد من شجاعة الممدوح عند الرضى أنه جعل مشبها صريحا واضحًا للبيان دون تخفَّ أو خوف فهو الذي لا يخشى المواجهة مهما كانت.

ولعل أبا تمام كان مصيبًا حينما صنع المناسبة لحالتي الممدوح في صفوه وكدره وغضبه، فجعل تلك الحالة المزدوجة كالسيف في بياض فرنده وسواد ربده[٣٨٨] قال بعد الشاهد مباشرة:

كالسيف يعطيك ملءَ عينيكَ من ∴ فرندهِ تارةً ومن ربدِه [٣٨٩]

ولعل تشبيه الممدوح بالليث عند الرضى وأبي تمام من الظواهر الشائعة في شعرهم، ولكنها لا تنحو منحى واحد في الصياغة والأداء التعبيري إذ تجد تنوعًا في البيان عند كل واحد في أدائه للمعنى الذي يريد إيصاله للمخاطب.

ومن ذلك ما مدح به الرضى أحد الأصدقاء وهو ابن العوام حيث يقول[٣٩٠]:

إذا ضافتْ الحيَّ الحريدةَ مغيرةٌ ∴ أدر عليها لقحةَ الطعنِ عامرُ [٣٩١]

---

(٣٨٨) ينظرها هامش الديوان ١/٤٤٠.

(٣٨٩) فرند: الفرند: وش السيف.. جوهره وماؤه الذي يجري فيه، وطرائفه ..، الفرند: السيف نفسه ينظر لسان العرب مادة (فرند) ربد: الربد: فرند السيف وربد السيف فرنده.. وسيف ذوربد بفتح الباء، إذا كنت ترى فيه شبه غبار أو مدب نمل يكون في جوهره اللسان مادة (ربد).

(٣٩٠) الديوان ١/٤٨٧.

(٣٩١) الحريد المنفرد اللسان مادة (حرد) المغير رجل مغوار مقاتل كثير الغارات على أعدائه اللسان مادة (غار) لقح: اسم ماء الفحل من الإبل والخيل اللقحة الناقة الحلوب الغزيرة اللبن اللسان مادة (لقح) عامر أبو قبيلة عامر ابن صعصعة بن معاوية بن بكر هوازن اللسان مادة (عمر) ضاف – مال ودنا ضاف الرجل: خاف اللسان مادة (ضيف) اللسان مادة (برد).

كالليـث الشـرى مـا فـاتَ حـدُّ نيوبـه ∴ مـن الطعـم يومًـا، أدركتْـه الأظـافرُ

وإذا كان المشبه به (الليث) هنا ليس على إطلاقه بل هو مقيد بكونه (ليث الشرى) فلذلك علته حيث إن (ليث الشرى) أشد وطأة من عموم الأسود...

ونظيره ما مدح به أبو تمام محمد بن شبانة قال[٣٩٢]:

ملـك إذا نسـبَ النـدى مِـن ملتقـى ∴ طرفيـه فهـو أخٌ لـه وحميـمُ

كالليـث ليـثُ الغـابِ إلا أن ذا ∴ فِي الـرَّوعِ بسَّـام وذاك شـتيمُ

وليث الغاب أشد فتكًا لأنه متوحش يعتمد على الصيد والقنص في غفلة من الحيوانات.

وشبيه به قول أبي تمام أيضا يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف[٣٩٣]:

هـو الليـث ليـثُ الغـابِ بأسًـا ونجـدةً ∴ وإن كـان أحيـا منـه وجهـاً وأكرمـا

أشـد ازدلافـاً بـين درعـين مقـبلا ∴ وأحسـن وجهـاً بـين بُـردَين محرمـا [٣٩٤]

فالرضى وأبو تمام وإن اتحدا في تشبيه الممدوح بالليث إلا أن ليث الرضى (ليث شرى)، وليث أبي تمام (ليث غاب). والاختلاف بينهما ظاهر.

التشبيه بالأسد في مقام الحماسة والحرب عند الرضى وأبي تمام:

لقد اهتم الرضى وأبو تمام بالحديث عن الحماسة والحرب مستخدمين أدوات فنية وصور بيانية رائعة، وكان من توظيف الشاعرين التشبيه بالأسد في إبـراز الوصف بالسطوة والقوة والكثرة أيَّما إبراز.

وقد اهتم الرضى في ذلك المقام بوصف وتصوير ملوك بنى بويه.

---

(٣٩٢) الديوان ١٠/١.
(٣٩٣) الديوان ٢٤٣/٣.
(٣٩٤) بردين: ثوبين هامش الديوان.

"فوصف قدرتهم على الغلب، وسطوتهم في دار الخلافة، ورهبة أعدائهم منهم، ودحرهم لمناوئ سلطانهم، وقد أضاف الرضى إلى هذا وصفهم بالشجاعة والجود" (٣٩٥).

ولعلنا في عوذ إلى معرفة ذلك النوع من أغراض القريض في الشعر، وهو ذلكم الشعر التحمسي الذي يعمد إلى الأمور المجردة، فيجعل لها أجسامًا محسوسة كإنطاق الرماح ورضا السيوف ونطقها.

وإذا تتبعنا التشبيه بالأسد في هذا المقام التعبيري وجدنا صورًا متعددة أشهرها ما ورد في قول أبي تمام يمدح توفلس(٣٩٦).

إن الأسود أسودُ الغابِ همَّتهُا ∴ يومَ الكريهةِ في المسلوبِ لا السلب

وقول الرضي يمدح بهاء الدولة(٣٩٧):

قد أصحر الضيغمُ من غِيلِه ∴ أظفوُره منكَ على مطمعِ (٣٩٨)

غضبان قد غرك همهامه ∴ على مجازي اللقم المهيع (٣٩٩)

كم فيك من خرف لأظفاره ∴ كملغم الأشداق لم يرقع (٤٠٠)

إذا قارنت بين شاهدي أبي تمام والرضى وجدت أن أبا تمام قد جاء في صورته التشبيهية بالتكرار في قوله: (إن الأسود) ودل هذا على الشجاعة والقوة وشدة البأس.

---

(٣٩٥) الشريف حياته ودراسة شعره/ ٧٧.
(٣٩٦) ديوان أبو تمام ١ / ٦٦ .
(٣٩٧) الديوان ٥٤٨/١ .
(٣٩٨) أصحر: برز للصحراء اللسان مادة صحر.
(٣٩٩) اللقم : معظم الطريق اللسان مادة (لقم): المهيع: المواضح البين اللسان (مهع).
(٤٠٠) ملغم: الفم اللسان مادة (لغم).

وخص من الأسود (أسود الغاب) خاصة دون الإطلاق لأن أسود الغاب أشد فتكًا وأعظم بأسًا من غيرها.

ومن هنا كان التقييد بالمشبه به الأسود بالإضافة للغاب له أثره في إثراء المعنى وتقوية الصورة.

وقد امتزج في الصورة الوصف بالشجاعة مع العزة والعفة عن الدنيا حيث قال أبو تمام (يوم الكريهة في المسلوب لا السلب). فهم يهتمون بالعدو والمحارب لاما معه من سلب وغنائم.

وانظر إلى بلاغة أبي تمام: (يوم الكريهة) إذ الشجاعة في اليوم المكروه، وكونهم كالأسود جسارة في يوم كره لهم ولغيرهم، إنه يدعو إلى تقرير شجاعتهم وجرأتهم.

وإذا كان أبو تمام قد قيد المشبه به فالإضافة فكذلك الرضى فعل فقال: (كملغم الأشداق) وهو هنا كناية عن الأسد والشدق أداة افتراس الأسد لفريسته.

وقيد بعدم الرقع فقال: (لم يرقع) للدلالة على شدة فتكه بالفرائس، فلا تجد بعد فتكه لها سبيلا للإصلاح.

ومن توظيف التشبيه بالأسد في مقام المدح والفخر على السواء وبالموازنة بين شواهد كل من الشاعرين تجد أن هناك شواهد صريحة مشهورة في هذا السياق ومنه قول الرضي يفخر[٤٠١]:

كأنما بيضَه ضراغمةٌ ∴ غمودُها في الكتائب الأجمُ [٤٠٢]

وقال أبو تمام يمدح المأمون وجنده في الحرب[٤٠٣]:

---

(٤٠١) الديوان ٣١٩/٢.

(٤٠٢) بيضة: الخوذة اللسان مادة (بيض). ضرغامة: الضرغم والضرغام والضرغامة: الأسد، ورجل ضرغامة شجاع اللسان مادة (ضرغم).

(٤٠٣) ديوان أبي تمام ٣/ ١٥٦.

مسترســـلين إلى الحتـــوف كأنمـــا ∴ بـــين الحتـــوفِ وبيـــنهم أرحـــامُ [٤٠٤]

آســـادُ مـــوتٍ مُخْـــدراتٌ مالهـــا ∴ إلا الصـــوارمُ والقنـــا آجـــامُ [٤٠٥]

جعل الرضي خوذة الممدوح (ضراغمة) وهي جمع (ضرغام) يعني الأسد وجعلها أبو تمام (آساد موت).

ولعل اختيار المشبه به عند أبي تمام كان أوفق بالمعنى وأكثر مبالغة من الرضى، وسر ذلك أن أبا تمام قد صور الممدوحين وهم المأمون وجنده في شجاعتهم وشدة بأسهم بالآساد إلا أنهم ليسوا بآساد فقط، بل هم (آساد موت مخدرات) أراد أن جنوده حاملين أرواحهم فوق أكفهم فاتحين للموت أذرعتهم مسرعين إلى القتال، فهو يصف عظمة جيش المأمون ويقف أمامه مصورًا هيئة وقوة عناده من الخيل وتضحية فرسانه، أما الرضى فقد جعل المشبه به (ضراغمة) دون أن يصبغ الصورة بصبغة المبالغة.

وفي بيان بلاغة صورة أبي تمام حدَّث ولا حرج، وقوله: (مسترسلين إلى الحتوف) كناية عن رباطة جأشهم واطمئنان قلوبهم عند مواجهة الأعداء، وعدم خوفهم من الردى والهلاك.. وقد أتت الصورة التشبيهية في أعقاب الصورة الكنائية؛ لتفسر إبهامها وتوضيح غموضها حتى تقترب أكثر من الأذهان، وهي بذلك تتسم بسمة تجسيدية وسمة تكثيفية، فالكناية مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، وصفت قريحته، وتعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها، والقضية في طيها برهانها"[٤٠٦]

وبالنظر في صورة الرضى يلحظ أنه يشبه شدة وصرامة سيوفه وأنصاره بالضراغمة من الأسود.

---

(٤٠٤) مسترسلين: مستسلمين هامش الديوان، اللسان مادة(رسل).
(٤٠٥) الصوارم الخذم: السيوف القاطعة اللسان مادة (خذم).
(٤٠٦) علم البيان د. بسيوني ٢٦٧ نقلا عن البلاغة الواضحة ١٣٩.

وكأن كل سيف صار ضرغامًا، وكل هذا صار أجمة كآجام الآساد. دل على ذلك قوله: (غمودها في الكتائب الأجم) وهو من البراعة والصنعة بمكان حيث جعل ما يوضع فيه السيف الأبيض من حدته ونفاذه كالأجمة دلالة على شدة التحصين ومنعته. والتشبيه بالأسد يفيد شدة شجاعتهم، ودل عليه لفظ (ضراغمة) إذ تدور لمادة حول معنى الشجاعة وشدة الزئير، وهي من مقومات تقرير شجاعة الممدوحين بقوة أسلحتهم ومنعتها ونفوذها.

وإذا وقفنا النظر وجدنا أن أبا تمام يصور الممدوحين أشخاصا في صورته تجسيدًا لمعاني الشجاعة والقوة وعبر صراحة بذلك قال (كأنما بين الحتوف وبينهم أرحام آسادموت، بينما صور الرضى ذلك المعنى بطريق غير مباشر حيث جعل معاني الشجاعة والصرامة والنفاذ في الهدف متحققة في آلات الحرب وأدوات القتال، وهي السيوف البيض، فإذا كانت الأدوات الحربية كالضراغمة، وغمودها كآجام الآساد فالحاملون لها أشد بأسًا وشجاعة وصرامة بالآصالة.

ومن مقومات قوة صورة الرضى إتيانه بالأداة (كأن) إذا إنها تستعمل حينما يقوى الشبه بين الطرفين، اما أبو تمام فقد أتى بصورته مجردة من الأداة والوجه وأضمر المشبه فقال: (آسادموت مخدرات) فلم يصرح سوى المشبه به (آساد موت) وإضماره للمشبه ليقرر شهرته وأنه لا يحتاج إلى ذكر لكي يُعرف.

وباستقصاء شواهدهم في ذلك السياق تجد زخمًا ظاهرًا، وكانت أداة كل في ذلك توظيف التشبيه بالأسد في هذا السياق الشعري.

ومن ذلك قول الرضى[٤٠٧]:

نهيتكم عن ذي هما هم مشبل ∴ حمى بجنوب السيء ضالا وغرقدا

فضافض غيل في الدماء عيية ∴ كأن علي ليتيه موردا

يعرف بين الجحفلين زئيره ∴ كما أط نجدي الغمام وأرعدا

يجر سآبي الدماء وراءه ∴ مجر الخليع الشرعبي المعضدا

---

(٤٠٧) الديوان ١/٣٦٥.

المبحث الثاني
خصائص التشبيه بالأسد في ديوان الشريف الرضي

بعد تحليل الصور المختلفة التي وظف فيها الشريف الرضي التشبيه بالأسد، بمظاهره وعناصره، ومفرداته، وأعضائه، للوقوف على قدراته وإمكاناته التصويرية من قوة وضعف والخيال من سعة وضيق .. فإن الشريف الرضي استطاع أن يجمع بين المشبه والمشبه به، وخاصة في التشبيه التمثيلي والضمني، وأكثر من توظيفهما، ويأتي التشبيه المقلوب موظفاً ببراعة.

وإن كان الشريف الرضى قد وظف الأسد ومفرداته من زئيره، وعينيه، ونابيه، وشدقيه، ومخالبه، ولبدته، وطلعته، وما تعلق به من الأمكنة كالغيل، والعرين، والأجمة، وخفان، والغاب، والضواري وحالاته وصفاته من قنصه وإدراعه بالدم، وتشقيقه للقلوب، وغير ذك من الأمور كلها تعد من المحسوسات.

وقد وظفها الشاعر في الأغراض الشعرية المختلفة من مدح، ورثاء، وفخر، وشكوى، وذم، وهجاء، وتهديد، وغيرها ... إلخ.

وكان الشريف ارضي يدرك أنه "لا قيمة للتشبيه في الوصف بحد ذاته، لإنه وسيلة للتعبير عن التجربة، فليس ثمة تشبيه دائم الجمال، كما إنه ليس ثمة

تشبيه دائم القبح، وإنما هو يجمل أو يقبح بالنسبة للتعبير المخلص واتصاله الحميم بالتجربة الداخلية"[٤٠٨].

فكانت تشبيهات الشريف الرضي بالأسد تتعلق تعلقاً كبيراً بعاطفته، وتجربته الداخلية، فكان هذا يظهر جليا في تشبيهاته، ومدى معرفته بطبائع هذا الحيوان، وحاول أن يصبغ هذه المعاني على المشبه الذي ألحقه وشابهه بهذا الحيوان.

كما ورد ذلك في قوله[٤٠٩]:

وَلـــي أنـــفُ كَـــأنف اللّيـــث ∴ يَـــأبَى شَـــميمي للمَذلّـــةِ واســـتيَافي

لقد استطاع الشريف الرضى أن يوظّف التشبيه بالأسد للتعبير عن "عواطفه الصادقة، فهي معه أنه يتذوق ما للكلمة من سحر، ونقف معه وقفات، يدلل فيها على حسن الابتكار، وقوة التخيل والتصور"[٤١٠].

فلذلك نرفض ولا نقبل تعميم الدكتور إيليا الحاوي حينما ذهب إلى أن الشاعر العباسي لم يتوغل في النفس مما جعل هذا يقلل من قيمة وصفه فقال: "يقيني لو تصدى الشاعر العباسي إلى التوغل في النفس، مكتشفاً غوامضها وأسرارها الحدسية، لكان وصفه للأشياء أقرب للنفس وبالتالي إلى الخلود لكنه لم يكد يلتفت إلى نفسه ووجدانه مرة، حتى التفت مراراً إلى الذهن، والذاكرة، متصدياً إلى المعنى بذاته ... دون ارتباطه بالتجربة"[٤١١] فنجد أن هذا الحكم جانبه الصواب، والحق أن منابع الصورة عند الشريف وتصرف الرضى مستخلصة من حياته، وحسه وملاحظته[٤١٢] الدقيقة والعلم بطبائع الأشياء.

---

(٤٠٨) فن الوصف إيليا الحاوي، ص / ١٤٧.
(٤٠٩) الديوان ١٤/٢.
(٤١٠) الحماسة / ٣٥١ "بتصرف".
(٤١١) فن الوصف ص/ ٢٢٣.
(٤١٢) انظر: أبو تمام الطائي حياته وحياة شعره د / نجيب محمد البهبيتي "بتصرف" ص/ ٩.

وقد أكثر الشريف الرضى في تشبيهات الأسد من تشبيه المعقول بالمحسوس، لكونه أمكن في النفس، وأشد تأثيراً.

ومن البديهي أن تكون النفس أكثر تأثراً بالمحسوس من المعقول، ولذا وجدنا المشبه به لا يكون في الغالب إلا من المحسوسات لأنه ينقل النفس من المعقول إلى المحسوس، ومن الفكرة إلى الفطرة، ومن الغموض إلى البديهة"(٤١٣).

ولقد بَّين الإمام عبد القاهر -رحمه الله- عن أسباب تفضيل تصوير المحسوس للمعقول فقال: "إن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جليّ، وتأتيها بصريح بعد مكني، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع، لأن العلم المستفاد من جهة النظر والفكر في القوى والاستحكام وبلوغ الثقة فيه غاية التمام كما قالوا: "ليس الخبر كالمعاينة" و "الظن كاليقين" فلهذا يحصل بهذا العلم هذا الأنس، أعني الأنس من جهة الاستحكام والقوة، وضرب آخر من الأنس وهو ما يوجبه تقديم الإلف ... ومعلوم أن العلم الأول أنس النفس أولاً من طريق الحواس والطباع، ثم من جهة النظر والروية، فهو إذن أمس بها رحماً، وأقوى لديها ذمماً، وأقدم لها صحبة، وأكد عندها حرمة وإذا نقلتها في الشيء بمثله عن المدرك"(٤١٤).

كما ورد ذلك في قوله(٤١٥):

وَالدّهرُ في أبْياتِنَا جُؤذَرُ ∴ فالأنَ أضْحَى وَهَوِ لَيث شَتِيمْ

---

(٤١٣) البلاغة فنونها وأفنانها ٣٠، ٧٥.
(٤١٤) أسرار البلاغة ١٠٨، ١٠٩.
(٤١٥) الديوان ٣٣١/٢ .

وقوله[٤١٦]:

أقُــولُ لــدَهْرٍ تَــاهَ إذْا صــيدَ لَيْثــهُ ∴ كَــذاكَ يُصَــادُ اللّيــثُ وَالليــثُ رَاقِــدُ

وقوله[٤١٧]:

قــد هَــابُوا ابتِســامَكَ فِي دَهْيــاءَ مُظلِمــة ∴ وَلــيَسَ يُوصَــفُ ثَغْــر اللّيــث بالشّــنبِ

أيضاً نجد أن الشريف الرضي في تشبيهاته بالأسد أكثر من التشبيه بـــ (كأن).

لأن "كأن أدل على تأكيد الكلام من الكاف، ولهذا جاءت في القرآن الكريم في المواطن التي يستحسن فيها توكيد الكلام وتشبيته في النفوس"[٤١٨].

"واختلف العلماء في إفادة (كأن) للتشبيه.

يرى بعض العلماء أن (كأن) مركبة من كلمتين (الكاف) و(إنّ) الدالة على التأكيد.

وذهب بعض العلماء إلى إنها لا تكون للتشبيه إلا إذا كان خبرها جامداً، أما إذا كان خبرها مشتقاً فإنها تفيد الظن والشك، فإذا قلت: (كأن خالداً قائم) فإنها تفيد الظن، لأن (قائم) وهي خبر كأن، اسم فاعل، واسم الفاعل من المشتقات، ولكن جمهرة العلماء على أنها للتشبيه في جميع أحوالها"[٤١٩].

ومما ورد من التشبيه بالأسد، واستخدم فيه الشريف التشبيه بـــ (كأن) للدلالة على تثبيت المعنى والتأكيد والمبالغة في مدى الاتحاد بين الطرفين قوله في مدح أبيه[٤٢٠]:

---

(٤١٦) الديوان ١ / ٣٩٠ .
(٤١٧) الديوان ١ / ٩٩ .
(٤١٨) البلاغة فنونها وأفنانها / ٢٨.
(٤١٩) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها ، ص ٢٨، ٢٩.
(٤٢٠) الديوان ٢٨٧/١.

رب مخـــــوف كـــــأن طلعتـــــه ∴ تلقـــــى المطايـــــا بطلعـــــة الأســـــد

وقوله في مدح ملوك بني بويه[٤٢١]:

أأتـــــرك أملاكـــــاً رزانـــــا حلـــــومهم ∴ حلـــولا علـــى الـــزوراء إيمـــانهم تنـــدى

كأنـــــك تلقـــــي مـــــنهم أجميـــــة ∴ مؤللـــــة الأنيـــــاب أو قلـــــلا صـــــلدا

مما يلفت نظرنا أيضا في تشبيهات الشريف الرضى أنه يكثر من اســتخدام التشبيه المحذوف الوجه والأداة، لأن الشريف يدرك أن مثل هذه التشبيهات تعمل على تأكيد المعنى وتثبيته مع الإيجاز، والمبالغة، ويجعل الشيء كأنه حقيقة.

ولأنه "يحتاج في إدراكه إلى إعمال الفكر كان ذلك أفعل في النفس، وأدعــى إلى تأثيرها واهتزازها لما هو مركوز في الطبع، من أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له، والاشتياق إليه، ومعاناة الحنين .. كان نيله أحلى، وموقعه في الــنفس أجــل وألطف، وكات به أضن وأشغف"[٤٢٢].

كما ورد ذلك عند الشريف في قوله[٤٢٣]:

هــو الليــث لا مســتنهض عــن فريســة ∴ ولا راجـــع عـــن فرصـــة لحيـــاء

استعان الشريف الرضي بالتشبيه بالأسد بالصور الكلية لأنه لا بد أن تكون الصورة مطابقة تماماً للتجربة التي مر بها الشاعر لإظهار فكــرة، أو حــدث، أو مشهدا، أو حالة نفسية أو غير ذلك، فكل صورة كلية .. تحــدث نتيجــة تجربــة خامرت نفس صاحبها، وتفاعلت في جوانبها المختلفة، يمتــزج الطــارئ إليهــا بالمخزون فيها، حتى إذا ما اكتملت في نفسه تتلاقى الأشباه، وتتــألف النظــائر

---

(٤٢١) الديوان ١/٣٧١.
(٤٢٢) جواهر البلاغة/ ٢٣٥.
(٤٢٣) الديوان ١/١٠.

لعلاقة بين أجزائها ... فتتجلى مستقلة خارج النفس بأجل لباس وأجمل ثوب في الصورة الأدبية"[٤٢٤].

ومن هذه الصور الكلية قوله[٤٢٥]:

من القوم طاروا في الفلا كل طيرة ∴ ومدوا إلى الأحساب بوعاً وأذرعا

إذا لبسوا الريط اليماني وأقبلوا ∴ يجرون منها الشرعبي المضلعا

حسبت أسود الغاب رحن عشية ∴ تخال بهن البابلي المشعشعا

هناك صورة عند الشريف الرضي في التشبيه بالأسد نجد أنه يقوم بتفضيل المشبه على المشبه به، ومعروف أن التفضيل يؤدي إلى عقد "مقارنة ومشابهة بين الطرفين، لما أدركه من علاقة خفية ومنفعة ذاتية تربط بين طرفي الصورة"[٤٢٦].

كما ورد ذلك في رثاء الطائع لله ويذكر مآثره فيشبهه بالأسد إلا أنه يفضله على الأسد بأنه اتخذ المجد غيلاً ومكانا له.

فقال[٤٢٧]:

ويرى عزيزاً حيث حل ∴ ولا يرى إلا ذليلا

كالليث إلا أنه ∴ اتخذ العلي والمجد غيلا

وعلا على الأقران لا ∴ مثلا يعد ولا عديلاً

وقوله[٤٢٨]:

ملك الملوك يرا ∴ وح بين عفو وانتقام

---

(٤٢٤) البناء الفني للصورة الأدبية، ص / ٢٩.
(٤٢٥) الديوان، ٥٧٩/١.
(٤٢٦) الصورة الفنية عند دعبل ص / ٢٦٣، ٢٦٤، "بتصرف".
(٤٢٧) الديوان ١٧٤/٢.
(٤٢٨) الديوان ٣٠٦/٢.

مـــــا إن أبـــــالي مـــــن ورا ∴ ئـــي بعـــد أن يضـــحى أمـــامي

كالليـــث يقتـــنص الرجـــا ∴ ل ولا يغـــير علـــى الســـوام

وقوله[٤٢٩]:

قـد هـابوا ابتسـامك في دهيـاء مظلمـة ∴ ولـيس يوصـف ثغـر الليـث بالشـنب

استعان الشريف في التشبيه بالأسد بالتشبيهات التمثيلية، لأنها تُعد من "ألطف أنواع التشبيه وأدقها، وأكثرها إعانة على توضيح الفكرة وجلاء المعنى، لأن التشبيه إذا كان المشبه به فيه محسوساً، أو معنوياً كان دليلاً على توضيح المعنى والثراء فيه، مع الإيجاز والاختصار، وتتعدد فيه الأدلة، وتتنوع به المحسات والمعقولات، لأن وجه الشبه يقع بين هيئات متعددة في الطرفين"[٤٣٠].

ولقد أشاد واستحسن الإمام عبد القاهر بالتشبيه التمثيلي فقال:

"اعلم مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها"[٤٣١].

ويقول في موضع آخر: "وهل تشك في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يخصر بعد ما بين المشرق والمغرب، ويجمع بين المشئم والمعرك، وهو يريك المعاني الممثلة بالأوهام شبها في الأشخاص الماثلة،

---

(٤٢٩) الديوان ٩٩/١.

(٤٣٠) ينظر: البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر د / علي علي صبح، ص/ ١٥٤ "بتصرف" ط، المكتبة الأزهرية للتراث ١٤١٦ه – ١٩٩٦م.

(٤٣١) أسرار البلاغة ص/١٢٨.

والأشباح القائمة، وينطق لك الأخرس، ويعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة في الجماد"[٤٣٢].

من التشبيه التمثيلي عند الشريف الرضي قوله في مدح الماضيين[٤٣٣]:

إذا رثموا المسك القرانين ∴ خلتهم أسود الثرى سافت دما بالمناشق

وقوله في مدح أبيه[٤٣٤]:

إن يتبعوا عقبيك في طلب العلى ∴ فالذئب يعسل في طريق الضيغم

أيضاً أن الشريف الرضي قد جارى الأقدمين في التشبيه الاستطرادي الذي يتحول فيه "الشاعر عن المشبه إلى المشبه به ويمعن بوصفه والتدقيق بتفاصيله وجزئياته، حتى يغدو موضوعاً مستقلاً بذاته من دون المشبه"[٤٣٥]. "إن التحول من التشبيه والمقابلة بين الشاعر والأسد إلى التعمق بخصائص الأسد، وتفصيل ملامحه بما لا يقل عن[٤٣٦]، عشرة أبيات فقال[٤٣٧]:

دعى جنبات الواديين فدونها ∴ أشم طويل الساعدين ضبارم

إذا هم لم تقعد به عزماته ∴ وإن ثار لا تعيا عليه المطاعم

كأن على شدقيه ثغرا وراءه ∴ ذوابل من أنيابه وصوارم

فما جذب الأقران من فريسة ∴ ولا عاد يوما أنفه وهو راغم

يرى راكب الظلماء في مستقره ∴ وتستن منه في العرين الغماغم

نمر وراء الليل نكتمه السرى ∴ وقد فضحتنا بالبغام الرواسم

---

(٤٣٢) ينظر: المرجع السابق، ص / ١٤٩.
(٤٣٣) الديوان ٢/٦٠.
(٤٣٤) الديوان ٢/٢٥٩.
(٤٣٥) فن الوصف إيليا الحاوي، ص/٧٣، "بتصرف".
(٤٣٦) المرجع السابق، ص/١٣٠ "بتصرف كبير" .
(٤٣٧) الديوان ٢/٣٢٣.

لـــه كـــل يـــوم غـــارة في عـــدوه ∴ تشـــاركه فيهـــا النســـور القشـــاعم

كـــأن المنايـــا إن توسَّـــد باعُـــه ∴ تـــيقَّظُ في أنيابـــه وهـــو نـــائمُ

ومـــا الليـــثُ إلا مـــن يـــدلُّ بنفســـه ∴ ويمضـــى إذا مـــا بادهتْـــه العظـــائمُ

ومـــا كـــلُّ ليـــثٍ يغـــنم القـــوم زاده ∴ إذا خفقـــت تحـــتَ الظـــلامِ الضـــراعمُ

لقد أكثر الشريف الرضى في التشبيهات بالأسد على التشبيه المفصل، لأن هذاالتشبيه يؤكد على جانب من جوانب المشبه.

فمن التشبيه المفصل عند الشريف قوله في مدح بهاء الدولة[٤٣٨]:

وقلـــب كالشـــجاع يســـور عزمـــا ∴ ويجـــذب بـــالعلي جـــذب الرشـــاء

ومن التشبيه المفصل أيضاً قوله[٤٣٩]:

ولـــي أنـــف كـــأنف الليـــث ∴ يـــأبى شميمـــي للمذلـــة واســـتيافي

فيأكد على جانب العزة والكبرياء والإباء عند المشبه في قوله:

(يأبى شميمي للمذلة واستيافي).

وقوله [٤٤٠]:

أنـــا الأســـد الماضـــي علـــى كـــل فعلـــة، ∴ تمشـــي شـــفار البـــيض فـــوق الجمـــاجم

فقوله: (تمشي شفار البيض فوق الجماجم) تفصيل يعود علـــى المشـــبه ليبين مدى شجاعته وعزمه وقوة إرادته وسيفه البتار.

ونجد أن الشريف ارضي تخيله للبطل يعتمد على تفاصيل وجزئيـــات مـــن تحديد الزمان، المكان، صفاته.

كما ورد ذلك في قوله[٤٤١]:

---

(٤٣٨) الديوان ١٦/١.
(٤٣٩) الديوان ١٤/٢.
(٤٤٠) الديوان ٣٣٨/٢.
(٤٤١) الديوان ٥٤٨/١.

قـــد أصـــحر الضـــيغم مـــن غيلـــه، ∴ أظفـــوره منـــك علـــى مطمـــع
غضـــبان قـــد غـــرك همهامـــه ∴ علـــى مجـــازى اللـــهم المهيـــع
كـــم فيـــك مـــن خـــرق لأظفـــاره، ∴ كملغـــم الأشـــداق لم يرمـــع
لـــيس كغـــزو الـــذئب بهـــم الحمـــى، ∴ إن مـــر بالســـخلة لم يرجـــع

وقوله[٤٤٢]**:**

ورجـــال شـــدخت أوضـــاحم ∴ غلبـــوا الأعنـــاق منـــا وإســـارا
يهملـــون المـــال إهمـــالهم ∴ غـــارب الســـرح ويرعـــون الـــذمارا
كـــل موقـــود مـــن التـــاج لـــه ∴ نهـــر يســـقى يلنجوجـــا وغـــارا
ذي ضـــياء إن جـــلا عرنينـــه ∴ ضـــوأ الليـــل ومـــا أوقـــدوا نـــارا
تســـكن الضوضـــاء عنـــه هيبـــة ∴ مثـــل مـــا لبـــدت المـــزن الغبـــارا
كـــزئير الليـــث ينفـــى صـــوته ∴ عـــن حفافيـــه ثؤاجـــا ويعـــارا

ومن الملاحظ عند الشريف الرضي في توظيف التشبيه بالأسد أنه أكثر من تشبيه الجمع، لأنه يؤدي إلى استقصاء عناصر المشابهة كما أشار إلى ذلك الدكتور جابر عصفور إلى الإعجاب بمثل هذه التشبيهات فقال: "ولا شك أن الإلحاح على علاقة التشبيه بالتفصيل وهي فكرة أقدم عند عبد القاهر يؤدي إلى الإعجاب الشديد بحشد التشبيهات وتكرارها داخل البيت الواحد أو الأبيات، ذلك أن الحشد يؤدي إلى استقصاء عناصر المشابهة كما أن التكرار يؤدي إلى اقتناص كل المشابهات الممكنة عقلاً، ومن هنا كنا نسمع عن الإعجاب بتشبيه الشيء بأشياء متعددة في بيت واحد أو أبيات قليلة"[٤٤٣]**.**

---

(٤٤٢) الديوان ١/٤٤٦.
(٤٤٣) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي د / جابر عصفور / ٤١٣، ط. دار المعارف .

كما ورد ذلك في قوله[٤٤٤]:

أنـــا خـــل كـــل فتـــى إذا أيقظتـــه ∴ أيقظـــــت كالنضـــــاض أو كالعـــــادي

وقوله[٤٤٥]:

مـــــا كنـــــت إلا حيـــــة بـــــواد ∴ وأســـــداً علـــــى العـــــدو عـــــاد

وقوله[٤٤٦]:

وإنـــــك يـــــوم تنـــــزي علـــــى ∴ وتبغـــــي لـــــي المؤيـــــد الصـــــيلما

كمـــــن صـــــارع الأســـــد المستغـــــ ∴ يـــــــر أو ســـــــاور الأرقمـــــــا

ولقد أكثر الشريف الرضي في التشبيهات بالأسد على تشبيه المحسوس بالمحسوس، ولكنَّ الشريف الرضي لم يكتف في هذا التشبيه على مجرد التماثل الحسي بين الطرفين، ولكنه أصبغ المحسوسات بمشاعره وأحاسيسه كما ذهب إلى ذلك الدكتور علي صبح في كتابه البناء الفني للصورة الأدبية فقال: "ينبغي ألا تقتصر على المحسوسات من الواقع إليها، ولا تقف على مجرد التماثل الحسي بين الأشياء بل لا بد من صبغ المحسوسات بألوان الشعور عند الشاعر، وأن ينبع المحس من داخل النفس، ممتزجًا بخواطره ومشاعره، حتى ترتبط الصورة الأدبية بأحاسيسه، وتفعم بمشاعره إزاء المشهد، أو الحدث، أو الخاطرة التي يصورها"[٤٤٧].

كما ورد ذلك في قول الشريف[٤٤٨]:

والنـــاس أســـد تحـــامي عـــن فرائســـها ∴ إمـــا عقـــرت وإمـــا كنـــت معقـــورا

---

(٤٤٤) الديوان ٣١٩/١.
(٤٤٥) الديوان ٣٨٠/١.
(٤٤٦) الديوان ٣٠٩/٢، ٣١٠.
(٤٤٧) البناء الفني للصورة الأدبية / ١٤٦.
(٤٤٨) الديوان ٤٨٠/١.

وقوله[٤٤٩]:

لـــه هامـــة كرحـــى الطاحنـــات ∴ تـــدور علـــى لبـــدة كالثفـــال

نجد أن الشريف الرضي أدرك أن التشبيه لا بد وأن تكون للعاطفة دوراً فيه وليس مجرد مطابقة بين طرفين فكانت تشبيهاته مرآة لنفسه، "فليست التشبيهات غاية في ذاتها، وإنما هي غاية لمعان تمثلها، معان تصور روح الكون في خيـال الأديب، ولكل أديب انطباعاته، وكذلك لكل أديب تشبيهاته التي تصور نفسه، ومـا انعكس عليها من روح الوجود"[٤٥٠].

وأيضا يظهر في تشبيهات الرضى للأسد ظاهرة التجسيم وهو: "صـيرورة المعنى والخاطرة إلى هيئة بارزة محددة، تقع تحت الحس وتجسـم الفكـرة فـي أشكال محسوسة، وأحجام منظورة، وتحول التجريد المطلق إلى صورة منظـورة وعوالم مرئية، فالمعول في التجسيم، لا على المشابهة والمضـاهاة، كمـا فـي التشبيه الحسي الخالي من الشعور، بل المعول فيه على التبديل والتحويل والتغيير والتصيير"[٤٥١].

كأن يجسم "حالة نفسية، أو صراع داخلي، أو عاطفة اتخذت لونا معيناً مما لا يقدر على توضيحه إلا التجسيم ... فيحيل الحالة النفسية والصـراع الـداخلي والعاطفة إلى تجسيد ظاهر للعيان مكشوف لمنافذ الوعي والحواس" [٤٥٢].

ويقول صاحب الصورة الفنية في شعر مسـلم بـن الوليـد: "التشـخيص والتجسيد مرتبطين بدائرة الحس التصويري، فالتشخيص يبعث الحياة والحركة في الموصوفات، وخاصة المعنوي منها، وقد يعتمد الشاعر في سبيل ذلك على البيان

---

(٤٤٩) الديوان ١٤٨/٢.
(٤٥٠) ينظر: الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد ص/٤١.
(٤٥١) البناء الفني للصورة الأدبية د / على صبح ص/١٨٣.
(٤٥٢) ينظر: البناء الفني للصورة الأدبية، ص/١٨٥ "بتصرف".

والبديع بأنواعهما، كالتشبيه والاستعارة والجناس والطباق، إلا أنه لا يأخذ منه إلا بالقدر الذي تحتاجه صوره، وليس بالعامد الذي يقصد إلى البيان والبديع لذاتهما، وإلا أصبح معرضا في هذه الحالة لمآخذ ناقديه"(٤٥٣).

فلم يعتمد الشريف الرضى في تشبيهاته بالأسد على مجرد التجسيم فقط، بل "تظهر براعة تشبيهاته، وخلطه لها بخطرات نفسه، وقدرته على التشخيص والتجسيم، وتلوينه للصورة، واستكماله لجوانبها، وخلطها بالمعاني النفسية، مما يجعل تأثيرها قوياً"(٤٥٤).

ملاحظة على الخيال في تشبيهات الأسد عند الشريف الرضي

نجد أن "للخيال أثراً بيناً في إظهار مقدرة الشاعر في إجادة فنه، واكتمال جمالياته، والصورة الفنية وما تشتمل عليه من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز تدق أجراسها في ذهن المتلقي، فيصل بها إلى غرض صاحبها دون عناء، وبقدر إبداع الشاعر في اكتمال صوره، والخروج بها إلى ساحة الفن، بقدر ما يذاع صيته، وتعلو شهرته، ويسمو فنه، فترفع إليها النفوس، وتسمو بسموه(٤٥٥)" فالخيال هو :"وضع الأشياء في علاقات جديدة، وهو سمة بارزة من سمات الأسلوب الأدبي، لأنه يصور العاطفة، أو ينقلها إلى السامع أو القارئ، ويبرز المعاني، ويلجأ إليه الأديب للإفصاح وحسن العرض وقوة الإبانة والتصوير، ويرى القارئ أو السامع الحقائق من ثنايا كل ذلك عن طريق خياله"(٤٥٦).

---

(٤٥٣) الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد ص/٢٧.

(٤٥٤) ينظر: الشريف الرضى حياته ودراسة شعره، ٢/٣٥٠.

(٤٥٥) رسالة ماجستير بعنوان: "وصف المعارك الحربية بين أبي تمام والبحتري، دراسة تحليلية موازنة للباحثة إلهام عبد المحسن محمد صالح، د / حمدان عبد الرحيم حمدان، د / حمدي عبد المجيد ١٤٢٨ ه – ٢٠٠٧م، كلية اللغة العربية بأسيوط، ص ٢٨.

(٤٥٦) الصورة الفنية في شعر مسلم بين الوليد، د / عبد الله التطاوي، ص/ ١٨، ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع سنة ١٩٩٧م.

فنجد أن الشريف الرضي في التشبيه بالأسد استعمل الخيال الحضوري، والخيال الابتكاري، ولكنّ استعماله للابتكاري كان أكثر، فنرى مثلاً أنه يقلد الجاهليين في تصوير الحرب بصورة الأسد الذي يفترس فريسته من خلال رأسه ولبدته، وبصورة "الرحى التي تطحن الحب، لأنها تهلك الناس وتفتتهم فكأنها تطحنهم .. ونرى تصويرة للبطل في قوته ورهبته يجعلهم يستحضرون في ذكراهم صورة الأسد في رهبته وشدة هجومه"[٤٥٧] كما في قوله[٤٥٨]:

أقول لساع على إثرهم ∴ يطالب شأواً بعيد المنال

حذار فإن على الجلهمين ∴ هموس الدجى مرصد للرعال

له هامة كرحى الطاحنات ∴ تدور على لبدة كالثفال

أما الخيال الابتكاري، وهو الذي "يحوّر، أو يغير، ويبدل في الصور التي في الذاكرة بحيث يبرزها كأنها شيء جديد، ... والخيال في التشابيه بالأسد عند الشريف خيال تصويري غرضه إما التوضيح، وإما التحسين، فهو يصور الحقائق تصويراً يهدف إلى رسمها وإجادة إبرازها، أو تحسينها وتجميلها، فمثلا يصور الحرب بصور مختلفة تؤدي إلى إظهار فكرة التخريب والتدمير والإهلاك والإيلام"[٤٥٩].

كما ورد عند الشريف الرضي في تشبيه أبيه حينما قبض عليه بهاء الدولة بالأسد ومدى ظفره بأعدائه في قوله[٤٦٠]:

نهيتكم عن ذي هماهم مشبل ∴ حمى بجنوب السيئ ضالا وغرقدا

فضافض غيل في الدماء عيية، ∴ كأن على ليتيه موردا

---

(٤٥٧) ينظر: الطبيعتان/ ٧٢٧ "بتصرف " كبير " .
(٤٥٨) الديوان ٢ / ص ١٤٧، ١٤٨.
(٤٥٩) ينظر: الطبيعتان / ٧٢٧، "بتصرف".
(٤٦٠) الديوان ٣٦٥/١.

يفـــرق بـــين الجحفلـــين زئـــيره، ∴ كمـــا أط نجـــدى الغمـــام وأرعـــدا

يجـــر ســـآبى الـــدماء وراءه، ∴ مجـــر الخليـــع الشـــرعبي المعضـــدا

نجد أن هناك قضية نقدية مهمة وتلفت نظرنا في التشـبيه بالأسـد عنـد الشريف الرضي، وخاصة حينما يشبه نفسه "وهو يقود الفرسان، ويفتك بالأعداء، ويرجع ظافراً"(٤٦١)، بالرغم أن الشريف الرضي لم يعرف "بحـرب، ولـم يخـض معركة"(٤٦٢).

ألا وهي المبالغة في شجاعته لدرجة الغلو:

كما ورد ذلك في قوله(٤٦٣)

كأنمـــا فـــوق قطـــا جيادهـــا ∴ أســـود خفـــان وجـــن عبقـــر

وقوله(٤٦٤):

قلـــوب كأســـد الشـــرى الضـــاريات، ∴ وأحشـــاؤهم دونهـــا كـــالأجم

وقوله(٤٦٥):

نحـــن دلفنـــا للأراقـــم فتيـــة ∴ يضـــيفون أطـــراف القنـــا في الحيـــازم

تطلـــع مـــن خلـــف العجـــاج كأنمـــا ∴ تطـــالعهم منهـــا عيـــون القشـــاعم

فنجد أن الدكتور عبد الفتاح الحلو قد علل لهذه القضية بأنـه لا مـانع أن تكون هذه أحلام يعيشها الشريف الرضي في خياله، وتسبب له راحة نفسية، لأنه من خلال ذلك يجد أنه حقق أحلامه وآماله في طموحه، وهو الوصـول للخلافـة

---

(٤٦١) الشريف حياته ودراسة شعره ١٢٨/٢.
(٤٦٢) ينظر: المرجع السابق، ١٢٨/٢.
(٤٦٣) الديوان ٤٣٩/١.
(٤٦٤) الديوان ٣٣٤/٢.
(٤٦٥) الديوان ٣٤٠/٢.

فقال: "... هي أحلام ينفس عن نفسه بتصويرها، ويغرق في خدر مـــريح، وهـــو يعيش هذه المعارك فنيًا، ويصحب هؤلاء الفرسان في أحلامه"(٤٦٦).

كما كان التشبيه بالأسد له دوراً كبيراً في تحقيق هذه الأحـــلام وإيضـــاحها وتقريرها، وشدة تأثيرها.

فالمبالغة تظهر في تصوير نفسه مثلا كأنه بطل، كما في قوله(٤٦٧) :

أنـــا الأســـد الماضـــي علـــى كـــل فعلـــة ∴ تمشـــى شـــفار البـــيض فـــوق الجمـــاجم

فنجد أنه يظهر في هذا البيت مدى المبالغة والعنصر الذاتي والنبرة الحادة التي يشعر بها الشاعر، وإن كانت هذه المبالغة مستساغة ومقبولة، كما قرر ذلك صاحب الحماسة.

فنجد أن الشريف يفتقد القوة في الواقع وإنما يحققها في خياله فيتخذ مـــن نفسه بطلاً، فيعيش في أحلام اليقظة كما أشار إلى ذلك الدكتور عز الدين إسماعيل فقال: "الألم والتضحية يرتبطان بالقوة ... والشاعر يستلذ الآلام في نشوة الوحى فيها الداء والأدواء .. فصاحب حلم اليقظة يتخذ دائما من نفسه بطلا في حين أن الشاعر عندما يحكى قصته كما لو كانت عن نفسه، ويستخدم جزءاً كبيـــراً مـــن حياته الخاصة ومن شخصيته مادة لذلك.." إن الحالم في اليقظة يجعل من خيالـــه وسيلة للحصول على إرضاء نرجسي لشخصه الخاص"(٤٦٨).

وعلل أن ذلك إذا كان خيالاً فإنه لا يتعارض مع الواقع ولا يتصـــارع معـــه فيقول: "ليس بين الحقيقة والخيال صراع، فكلاهما عنصر فعال ... وأن الشـــاعر حينما يستخدم خيالة ليهرب من الحقيقة، بل يتلمس الحقيقة كذلك فـــي الخيـــال،

---

(٤٦٦) الشريف الرضي حياته ودراسة شعره ١٢٨/٢

(٤٦٧) الديوان ٣٣٨/٢.

(٤٦٨) التفسير النفسي للأدب / ٢٩، وما بعدها ، دار المعارف ، ١٩٦٣م .

فالخيال والواقع كلاهما وسيلة لنقل ذلك الصراع الداخلي الذي يعاني منه الفنان"[٤٦٩].

وهذا ما قرره صاحب كتاب الحماسة بأنها أحلام يقظة وتحقق طموحه فقال: "... فقد وصفناها سابقاً بأنها أحلام يقظة، يعبر عن شيء يطمح إليه، ويفتقده، فيتألم ويثور، ويصرخ"[٤٧٠].

"ومن هذا النوع من المبالغات التي تصطدم بالواقع، فإنها تبقى مع ذلك مستساغة في ميزان الفن والتذوق، ومستملحة، يتقبلها القارئ بانبهار ودهشة، لأن صاحبها أوتى قدرة تعبيرية فائقة لم تخرج به من دائرة الشعر" [٤٧١].

ويقول –أيضاً– : "ومبالغات الشريف الرضى في حماسته، كثيراً ما تنسجم مع طموحه البالغ، وسعة خياله، لأنه ما كان يروق له إلا المشهد العظيم الصاخب كصخب الحياة في صدره"[٤٧٢].

ومن المبالغات –أيضاً– المقبولة عند الشريف الرضي "إذ يحرص على رفع الممدوح إلى مرتبة المثال، والمبالغة غير غريبة عن الشعر العباسي بعامة"[٤٧٣]، ما ورد في مدحه للخيفة الطائع في قوله[٤٧٤]:

هو الليث لا مستنهض عن فريسة ∴ ولا راجع عن فرصة لحياء

ويمكن أن نعلل إغراق الشريف في الخيال هو نتيجة لأثر الحضارة "وللتغيير الواسع في تفكير الشاعر العباسي وعقله، فاكتسب معاني الشعر دقة التصوير واستنباط الجديد من الأفكار، وأكثر الشعراء من الإبداع التصويري،

---

(٤٦٩) ينظر: المرجع السابق/ ٤٤.
(٤٧٠) ينظر: الحماسة في شعر الشريف الرضى / ٢٠٨.
(٤٧١) ينظر: المرجع السابق /٢٢١.
(٤٧٢) الحماسة، ٢٢١، ٢٢٢.
(٤٧٣) هامش الديوان ١/١٠.
(٤٧٤) الديوان ١/١٠.

والإغريق في الخيال، وتركيب التشبيهات والاستعارات والأوصاف في جنوح إلى المبالغة والإغراق والغلو والاستقصاء والتغلغل في دقائق الأغراض والخيالات"(٤٧٥).

تقويم صور التشبيه بالأسد عند الشريف الرضي:

"اتسمت صورة التشبيه المتوسلة بالأسد عند الشريف الرضي بفهم الشاعر لطبائع الحيوان وفضائله، وخصاله النفسية وانفعالاته السلوكية، فهما دقيقا واعياً، لا يقل براعة عن جودة الشاعر في رسم صورة هذا الحيوان شكلاً وهيئة"(٤٧٦).

وظهر فهم الشريف الرضي لطبائع الأسد وخصاله النفسية التي استخدمها حينما هجا شخص، ونفى عنه الشجاعة والجرأة والعجز عن القيام بالحرب ضده، وأثبت له الجبن والخوف وشبهه بالكلب، كما ورد ذلك في مقطوعته بعنوان: (بين ليث وكلب، أو عذرتك) فقال(٤٧٧):

لعل الدهر أمضى منك غربا ∴ وأقوى في الأمور يداً وقلباً

ومقلته، إذا لحظت حسامي ∴ تغض مهابة وتفيض رعباً

فكيف، وأنت أعمى عن مقالي ∴ ولو عاينته لرأيت شهبا

عذرتك أنت أردى الناس أصلا، ∴ وأخبث منصبا وأذل جنبا

وأنت أقل في عيني من أن ∴ أروعك أو أشن عليك حربا

أأعجب من خصامك لي وجدي ∴ رسول الله يوسع منك سبا

ومن رجم السماء، فلا عجيب ∴ يقال: حثا بوجه البدر تربا

فإنك إن هجوت هجوت ليثا؛ ∴ وإني إن هجوت هجوت كلباً

---

(٤٧٥) الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد ص ٣١٤ "بتصرف".
(٤٧٦) الصورة الفنية في شعر دعبل ص / ٢٨٥ "بتصرف".
(٤٧٧) الديوان ١/١٨٠.

وكان الشريف الرضي يدرك أن "التشبيه ليس عنصراً إضافيًا في الجملة ولكنه جزء أساسي لا يتم المعنى بدونه، والتشبيه يأتي ضرورة في الجملة، ويتطلبه المعنى ليصبح قويا"(٤٧٨).

"إن التحول من التشبيه والمقابلة بين الشاعر والأسد، إلى التعمق بخصائص الأسد، وتفصيل ملامحه(٤٧٩) " بما لا يقل عن سبعة أبيات كما ورد ذلك في قوله(٤٨٠):

كأن على الأطواد من نزع بيشة ∴ رصيد طريق ضل من يستدله

تلفع في شيء عباء مشبرق، ∴ أصابيغ ألوان الدماء تبلله

قصاقصة ما بات إلا على دم، ∴ تمضمض منه عرسه ثم شبله

أخو قنص كفاه كفة صيده؛ ∴ إذا جاع يوما والذراعان حبله

يشقق عن حب القلوب بمخصف ∴ أزل كما جلى عن الرمح نصله

لقد استطاع الشريف الرضى أن يوظف التشبيه بالأسد بالجمع بين المتباعدين، لما له من تأثير، وأشد تمكنا كما أقر بذلك صاحب الطراز فقال: "أن المتشابهين من الأشياء متى كانت المباعدة بينهما أتم، كان التشبيه أعجب، والسبب في ذلك هو أن المباينة متى كانت أدخل بينهما كان التشابه أشد إعجاباً في النفوس، وأقوى تمكنا فيها، لأن أكثر مبنى الطباع على أن الشيء إذا تصور ظهوره من مكان يبعد ظهوره منه، أزداد شغف النفس به وكثر تعلقها به، فما يتعذر وجوده أعجب مما يتسهل وجوده"(٤٨١).

---

(٤٧٨) التعبير الفني د / بكري شيخ أمين ص / ١٩٤.
(٤٧٩) الصورة الفنية في شعر دعبل / ٣٨٥ . وينظر : الرمزية / ١٦٨ .
(٤٨٠) الديوان ٢ / ٢٢٧.
(٤٨١) ينظر: الطراز ط١ / ٣٥٠.

لقد توسل الشريف الرضي في توظيفه للأسد "بالتشبيه الذي غالبا ما يعتمد على المدركات الحسية في تشكيله ليظهر علاقة جديدة بين طرفين، ويشتركان في أمور وصفات، تحقيقاً للمتعة والفائدة التي يهدف إليها الشاعر، متوخياً التناسق بين طرفي صورته التشبيهية، ومراعيا توافق الشكل بينهما، ليجعل بين الأشياء المتباعدة مناسبة واشتراكا، فيرى الشاعر بحسه الفنى أبعد مما يرى، وأحق مما يلحظ، مستنداً على قدرته في إدراك المتشابهات، ومعرفة أوجه الاتفاق بين الأمور المتباعدة"(٤٨٢).

ولكن ليس معنى ذلك أن يكون الطرفان متشابهين في جميع الوجوه كما ذهب إلى ذلك صاحب كتاب نقد الشعر حيث يقول:

"... الشيء لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات، إذ كان الشيئان إذا تشابها من جميع الوجوه، ولم يقع بينهما تغاير البتة اتحدا فصار الاثنان واحدا، فيقع التشبيه بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما ويوصفان بهما، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتها"(٤٨٣).

ومعنى هذا بأن "يكون أحد الشيئين مثل الآخر في بعض المعاني والصفات، والأحسن أن يكون الشبه في أكثر الصفات والمعاني، ولا يجوز أن يكون أحد الطرفين مثل الآخر مع جميع الوجوه، حتى لا يكون الشئ هو الآخر بعينه"(٤٨٤).

ومن ذلك قول الشريف حينما جمع بين طرفين متباعدين وهما تشبيه الرماح والسيوف بأسنان الأسد وشدقيه في الحدة، للتعبير عن المهارة القتالية فقال(٤٨٥):

---

(٤٨٢) الصورة الفنية في شعر دعبل ص / ٣٥٩.
(٤٨٣) نقد الشعر ص / ٣٦.
(٤٨٤) من المكتبة البلاغية د / عبد القادر حسين.
(٤٨٥) يراجع الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد ص / ٣٨.

كـــأن علـــى شـــدقية ثغـــراً ∴ وراءه ذوابـــل مـــن أنيابـــه وصـــوارم

ولذلك الشريف الرضي -أدرك بحسه البلاغي- أن الطرفين في التشبيه العلاقة بينهما علاقة مقارنة، وليست علاقة اتحاد بحيث يصبح هذا الطرف ذاك الآخر، بمعنى أنه لا يحدث داخل التشبيه تجاوز مفرط في دلالة الكلمات .. ولو على سبيل الإيهام، أو تتفاعل دلالات الأطراف مكونة دلالة جديدة هي محصلة لهذا التفاعل(٤٨٦).

ربما قيل: إن التشبيه بالأسد من التشبيهات القريبة المبتذلة، ولكن نستطيع أن نقول إن كانت هذه التشبيهات قريبة ومتداولة وغير مبتكرة، فقد أضفى الشريف عليها من شعوره وأحساسيه فجعلها رقيقة حية ونابضة ويبث فيها الحياة والجدة.

كما يقول الدكتور أبو موسى عن أهمية ذلك: "عني البلاغيون بتجديد التشبيهات التي ذهب الألف بروائها واشعاعاتها البلاغية، وذكروا أن الشاعر قد يضفى عليها من روحه وخياله ما ينقص عنها رتابة الألف ويبعثها جديدة حية ... لأن مظهر المقدرة البيانية ليست فقط تشكيل صور وتشبيهات، وكشف علاقات جديدة، وإنما يكون أيضا تجديد الصور الأليفة الرتيبة، وربما كانت في هذا النوع الثاني أكثر براعة واقتدار، لأن المقدرة التي تتناول الأشياء المبتذلة الناضبة وتفي عليها ما يعيدها بديعة رقراقة مقدرة ربما كانت أمكن من هذه التي تجوس خلال المجهول لتكشف فيه حجباً وتبرز فيها أنماطا من العلاقات المبدعة"(٤٨٧).

---

(٤٨٦) يراجع الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد ص / ٣٨.
(٤٨٧) التصوير البياني / ١٦١، ١٦٢.

الخاتمــة

قد تم بعون الله وتوفيقه الانتهاء من هذه الدراسة العميقة، وقد توصلت من خلال هذه الدراسة إلى ما يلي:

- لاحظنا أن الشريف الرضي قد وظف التشبيه بالأسد في نقل الأفكار العقلية، والأمور المعنوية إلى حسية مجسمة، وهذا التجسيم يوضح الفكرة ويجليها ويوضحها ويجعلها ماثلة للعيان كم ورد عنده في تصوير العزة والإباء والكبرياء ورفض الضيم في قوله(٤٨٨):

ولي أنف كأنف الليث ∴ يأبى شميمي للمذلة واستيافي

لم يدع الشريف الرضى غرض من الأغراض الشعرية إلا وظف صورة الأسد، أو أعضائه، أو مكانه، أو صفاته للتعبير عن أي غرض من هذه الأغراض، مع العلم أنه لا يخلو في بعض الأحيان من التفاعل والتقليد للأقدمين، ولكن كان ممزوجا بروح التجديد والإضافة لما هو متداول ومطروق.

مثل قوله(٤٨٩):

فكان كلبدة الضرغام عزا ∴ إذا ذل الموقع للخصوم

ومن التشبيهات القريبة المتداولة عند الشريف الرضى واستطاع أن يبعث فيه الجدة والابتكار، وجعلها حية وبث فيها الحياة وجعلها نابضة، وذلك بإضافته عدة أشياء كالجملة الشرطية مثلا، أو التفضيل، أو التفصيل وغير ذلك من الأمور التي تجعل هذه التشبيهات جديدة ومبتكرة.

مثل قوله(٤٩٠):

كلبدة الضرغام عزا ∴ إذ ذل الموقع للخصوم

---

(٤٨٨) الديوان ٢ / ١٤.
(٤٨٩) الديوان ٢ / ١٧٦.
(٤٩٠) الديوان ٢ / ٢٨٢.

وقوله[٤٩١]:

نحـــن أســـود الـــوغى إذا قصـــف الطعـــ ∴ ـــــن قنـــــا الخـــــط في جوانبنـــــا

وقوله[٤٩٢]:

كالثـــــــــائر الضـــــــــرغام إن ∴ لـــــبس الـــــوغى دق الـــــرعيلا

بان من التحليل والموازنة لشواهد التشبيه بالأسد بين الشريف وغيره من الشعراء، أنها مع تشابهها في المعنى، بل واتفاقها أحيانا إلا أن بين تراكيبهم لون اختلاف في الصياغة والأداء، وهو الذي يفرق تركيباً عن آخر وإلا كان الشـــعراء كلهم شاعراً واحداً.

مثل قول الرضي [٤٩٣]:

وكأنمـــا فـــوق الســـرير وقـــد سمـــا ∴ أســـد علـــى نشـــزات غـــاب مطـــرق

وقول أبي تمام[٤٩٤]:

تســعون ألفــا كأســاد الشــرى نضــجت ∴ أعمـــارهم قبـــل نضـــج الـــتين والعنـــب

كان الشريف يختلف عن غيره من الشعراء بأنه لم يتخيل بأن هناك معركة قامت بينه وبين الأسد، أو بينه وبين ممدوحيه سواء كانت حقيقيـــة أو متخيلـــة، وإنما اهتم بإصباغ صفات معنوية وشعورية للأسد وتجسيدها للقارئ مثل: "شـــدة البطش، والقـــوة، والزئيـــر العـــالي، وشـــدة الافتـــراس المتمثلـــة فـــي دمـــاء الفوارس"[٤٩٥].

مثل قوله[٤٩٦]:

---

(٤٩١) الديوان ٢ / ٤٦٣.
(٤٩٢) الديوان ٢ / ١٧٦.
(٤٩٣) الديوان ٣٩/٢ .
(٤٩٤) ديوان أبو تمام ٦٩/١ .
(٤٩٥) ينظر: الصنعة الفنية في شعر المتنبي / ١٧٥ "بتصرف".
(٤٩٦) الديوان ٣٦٥/١.

فضـــافض غيـــل في الـــدماء عييـــة ∴ كـــأن علـــى ليتيـــه ســـبا مـــوردا

"انتقاؤه لألفاظه، واختياره لألفاظ خاصة ومطابقــة لفظــه للمعنــى، وروح البداوة في شعره ... كما تشير الدراسة إلى تهذيبه لشعره، وتأريخــه لقصــائده، وقد أثر تهذيبه لشعر الصغر في امتناع الحكم عليه حكماً سليماً، ومــدى تطــور شعره في أطوار حياته[٤٩٧].

نجد أن الدكتور زكي مبارك قد علل سبب تأريخ الشريف لقصائده لســببين فقال: "تفرد الشريف بميزة لم نجدها إلا قليلاً عند غيره من الشعراء، وتلك عنايته بتأريخ قصائده، فهو الشاعر الوحيد الذي نجد جميع قصائده مؤرخة من بين سائر القدماء، ولهذا التأريخ نقع من وجهتين: فهو أولا شاهد على شعور الشريف بأن البلاغة من المواد الوصفية في حياة المجتمعات، وأنها لذلك خليقة بالتأريخ وهو ثانيا يسعف من يهمهم أن يعرفوا كيف تطورت عقلية الشاعر من حلال إلى حــال وكان يشعر بأن أهم عناصر البلاغة قوة الذاتية"[٤٩٨].

ومن ذلك قوله[٤٩٩]:

قـــد أصـــحر الضـــيغم مـــن غيلـــه ∴ أظفـــوره منـــك علـــى مطمـــع

كمـــا فيـــك مـــن خـــرق لأظفـــاره، ∴ كملغـــم الأشـــداق لم يرقـــع

تفرد الشريف الرضي من بين شعراء العربيــة فــي تشــبيهاته عمومــاً، وتشبيهه بالأسد خصوصاً، بعاطفة جياشة، وأن براعته في تصويره كانت تلتقــي مع شفافيه وجدانية، فيبدع في إبراز المعنى، ويصل به إلى قلب مستمعه، ومــن هنا تظهر براعة تشبيهاته، وخلطه لها بخطرات نفسه ...

---

(٤٩٧) الشريف حياته ودراسة شعره ٢ / ٣٥٠.
(٤٩٨) عبقرية الشريف ٢ / ٥٠.
(٤٩٩) الديوان ١ / ٥٤٨.

وقدرته على التشخيص والتجسيم، وتلوينه للصورة، واستكماله لجوانبها، وخلطها بالمعاني النفسية، مما يجعل تأثيرها قوياً"[٥٠٠].

ولذلك استحق الشريف الرضي إشادة الدكتور عبد الله المجذوب حينما حكم عليه بأن تشبيهاته راسمة[٥٠١]. ومن ذلك قوله[٥٠٢]:

وقلب كالشجاع يسور عزماً ∴ ويجذب بالعلي جذب الرشاء

كان الخيال في تشبيهات الشريف الرضي بالأسد خيالاً ابتكاري، بحيث كان يأخذ من القديم ثم يحوره ويبدله، ويتفنن في تجديده، وتحسينه، وإبرازه بإجادة. مثل قوله[٥٠٣]:

فكان كلبدة الضرغام عزاً ∴ إذ ازل الموقع للخصوم

لقد وظف الشريف الرضي التشبيه بالأسد في شعره الحماسي، لأنه كان يتخيل نفسه بطلاً يخوض الغمرات، ويقود الفرسان وتحقيقه للنصر والفوز في خوض الحروب. كما في قوله[٥٠٤] :

كأنما فوق قطا جيادها ∴ أسود خفان وجن عبقر

أثرت الحضارة الجديدة في أسلوب التشبيه بالأسد عند الشريف الرضي من إكثاره من البديع وخاصة الطباق، ومراعاة النظير وغيرها. ومن ذلك قوله[٥٠٥]:

والدهر في أبياتنا جؤذر ∴ فالآن أضحى وهو ليث شتيم

كثافة الصور البيانية وتداخلها، ومدى تداخل واندماج الصور وترابطها بحيث نجد داخل التشبيه مع الاستعارة والكناية أو العكس، وتمتد لتكون مشهداً متكاملاً يلحظ المتلقي من خلاله دقة الشاعر في الوصف وبراعته في نسج الصور.

وذلك ورد في قوله[٥٠٦]:

---

(٥٠٠) الشريف الرضي حياته ودراسة شعره ٣٥٠/٢ "بتصرف".
(٥٠١) المرشد في أشعار العرب / ١٨٣/٢ .
(٥٠٢) الديوان ١ / ١٦.
(٥٠٣) الديوان ٢ / ٢٨٢.
(٥٠٤) الديوان ١ / ٤٣٩.
(٥٠٥) الديوان ٢ / ٣٣١.

فمـــــن غلـــــب كـــــأنهم أســـــود ∴ علـــــى قـــــب ضـــــوامر كالظبـــــاء

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- أبو تمام الطائى حياته وحياة شعره د/ محمد نجيب محمد البهبيتى ط ٢- دار الفكر مكتبة الخاتجى ١٩٩٧٠م .

٣- أثر السياق في اصطفاء الأساليب دراسة بلاغية د/ إبـــراهيم الهدهـــد ط ١ – ١٤١٣هـــ - ٢٠١٣م.

٤- أخبار أبى تمام لأبى بكر الصولى حققه د/ خليل محمود عساكر د/محمد عبده عزام د/ نظير الإسلام الهندى ١ – القاهرة – مطبعة لجنة التأليف والترجمـــة والنشر ١٣٥٦هـــ -١٩٣٧م.

٥- أساس البلاغة للزمخشرى د/ عبد الرحيم محمود أمين الخولى – دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٤٠٣ هـــ - ١٩٨٢ م.

٦- أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجانى ت/ أحمـــد مصـــطفى المراغـــى، المكتبة التجارية بمصر.

٧- أسس النقد المنهجى عند العرب د/ أحمد أحمد بدوى، ط دار نهضـــة مصـــر للطبع والنشر – الفجالة القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٠م .

٨- أسامة بن منقذ حياته وآثاره د/ حسن عباس الهيئة المصرية العامة للكتـــاب فرع الإسكندرية .

٩- الأسماء العربية معانيها ومدلولاتها د/حسن نور الدين ط دار الكتاب الحديث، ١٤٢٤ هـــ -٢٠٠٤م.

١٠-الأعلام للزركلى ط ١٠، دار العلم للملايين، ١٩٩٢ م .

---

(٥٠٦) الديوان ٢ / ١٥.

١١-الألوان البديعية د/ حمزة الدمرداش ط ١، دار الطباعة المحمدية ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.
١٢-الايضاح للخطيب القزوينى د/ عبد المنعم خفاجى ط ٢، مكتبة الكليات الأزهرية، وطبعة دار الجيل – بيروت .
١٣-البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية د/ جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨ م.
١٤-بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة للشيخ عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ١٤١٣ هـ- ١٩٩١ م.
١٥-البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر د/ على على صبح المكتبة الازهرية للتراث، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦ م.
١٦-البلاغة العربية في ثوبها الجديد د/بكرى شيخ أمين ط دار العلم للملايين ١٩٩٥م.
١٧-البلاغة فنونها وأفنانها د/ حسن فضل عباس ط ٣، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٥ م.
١٨-البلاغة القرآنية والنبوية في أثار الشريفين د/ محمد حسن شرشر، مكتبة زهراء الشرق ٢٠٠٦ م.
١٩-بيان التشبيه دراسة تاريخية وفنية د/ عبد الحميد العيسوي ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٢٠-البيان في ضوء أساليب القرآن، د/ عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٢١-تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.
٢٢-التصوير البياني د/ محمد أبو موسى ط ٣، مكتبة وهبة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

٢٣-التعبير الفني في القرآن د/ بكرى شيخ أمين ط ٣، دار الشروق، ١٣٩٩ هـ - ١٧٩٩م.
٢٤-التفسير النفسي للأدب د/عز الدين السيد ، دار المعارف ، ١٩٦٣م .
٢٥-تكوين الخطاب النفسي في النقد العربي القديم د/حسن البنداري، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة.
٢٦-تلخيص البيان في مجازات القرآن حققه د/ محمد عبد الغنى حسن، ط دار الأضواء للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ- ١٩٩٦م.
٢٧-جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع د/ السيد أحمد الهاشمي أشرف صدقي محمد جميل، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٣ ه - ٢٠٠٠ م.
٢٨-جواهر الأدب في معرفة كلام العرب د/ علاء الدين الإربلى د/ إميل بديع يعقوب، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٩-الحماسة في شعر الشريف الرضى د/ محمد جميل شلش، منشورات وزارة الإعلام الجمهورية العراقية، ١٣٩٤ ه - ١٩٧٤ م .
٣٠-الحيوان في الأدب العربي د/ شاكر هادى شكر، مكتبة النهضة الحديثة - عالم الكتب - ١٩٨٥ م.
٣١-الحيوان للجاحظ د/ عبد السلام هارون ط ٢، مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر.
٣٢-دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، تح/ محمود محمد شاكر الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.
٣٣-ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى د/ محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر.

٣٤-ديوان الشريف الرضى د/ يوسف شكري فرحات ط دار الجيل، بيروت ١٤١٥ ه – ١٩٩٥م، و ط دار صادر – بيروت .
٣٥-الرمزية في الأدب العربي د/ درويش الجندي، ط ١، مكتبة نهضة مصر الفجالة.
٣٦-شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى، المكتبة التجارية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.
٣٧-شرح ديوان زهير بن أبى سلمى صنعه الإمام أبى العباس ثعلب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
٣٨-شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للحافظ جلال الدين السيوطي، ط مصطفى البابى الحلبى وشركاه ١٣٥٨هـ.
٣٩-شروح التخليص للخطيب القزوينى.
٤٠- الشريف الرضى د/ محمد عبد الغنى حسن ط دار المعارف.
٤١-الشريف الرضى حياته ودراسة شعره د/ عبد الفتاح الحلو، ط هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٦ ه – ١٩٨٦م.
٤٢-الصراع بين الإنسان والطبيعة في الشعر الجاهلي د/ محمد الكومي، الهيئة المصرية العامة للكتاب جامعة الاسكندرية.
٤٣-الصنعة الفنية في شعر المتنبي دراسة نقدية د/ صلاح عبد الحافظ، ط دار المعارف ١٩٨٣م.
٤٤-الصورة البيانية دراسة تحليلية د/ عزيزة الصيفي ١٤٣٣هـ -٢٠١١م.
٤٥-الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي د/ جابر عصفور، ط دار المعارف.
٤٦-الصورة الفنية في شعر دعبل على الخزاعي د/ على إبراهيم أبو زيد، ط دار المعارف ١٩٨٣م.

٤٧-الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد د/ عبد الله التطاوى، ط دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٩٧م.
٤٨-الطبيعتان الحية والصامتة في الشعر الجاهلي د/ بهيج مجيد القنطار منشورات دار الأوقاف الجديدة – بيروت.
٤٩-الطراز للعلوى ط دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٥٠-طيف الخيال د/ كمال الصيرفي ط دار إحياء الكتب.
٥١-عبقرية الشريف الرضى د/ زكى مبارك مكتبة الثقافة الدينية، ط المكتبة التجارية ١٩٥٣م.
٥٢-علم البيان دراسة تحليلية د/ بسيوني فيود ط ٣، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ١٤٣٣هـ- ٢٠١١م.
٥٣-علم البيان د/ عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع.
٥٤-العمدة لابن رشيق تح/ النبوي شعلان ط ١، الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة، ١٤٠١هـ - ٢٠٠٠ م.
٥٥-فن التشبيه د/ علي الجندي، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
٥٦-فن الوصف وتطوره في الشعر العربي د/ ايليا الحاوي ط ٢، منشورات الكتاب اللبناني – دار الكتاب المصري، بيروت – لبنان، ١٩٨٧م.
٥٧-في الأدب العباسي د/ مهدى نصير ط ٣، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.
٥٨-القاموس المحيط للفيروز آبادى ، ط٢ ، ١٣٧هـ - ١٩٥٣م .
٥٩-القرآن والصورة البيانية د/ عبد القادر حسين، ط عالم الكتب، بدون تاريخ.
٦٠-لباب البديع د/ محمد حسن شرشر ط ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٦١-لباب البيان د/ محمد حسن شرشر، ط٢٠٠٢-٢٠٠٣م.
٦٢-لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف، و ط دار الكتاب الحديث .
٦٣-المرشد في اشعار العرب وصناعتها د/ عبد الله المجذوب، مكتبة البابى الحلبى وأولاده بمصر ط ١، ١٣٧٤ ه - ١٩٥٥ م .
٦٤-معجم البلدان للإمام شهاب الدين ياقوت الحموي ط ١، مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٦م.
٦٥-معجم قبائل العرب القديمة والحديثة د/ عمر رضا كحالة ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤ ه - ١٩٩٤م.
٦٦-مفتاح العلوم للسكاكى تح د/ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٦٧-مقاييس اللغة لابن فارس د/ عبد السلام هارون ط ١، دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه ١٣٦٨ هـ.
٦٨-من المكتبة العربية د/ عبد القادر حسين .
٦٩-الوصف ألفة لجنة من أدباء وأقطار العربية ط دار المعارف.
٧٠-وصف الحيوان في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين د/ حازم عبد الله خضر، ط الشئون الثقافية العامة - بغداد - ١٩٨٧م.
٧١-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ت/ إحسان عباس ٢٧٨/٣ ط دار صادر بيروت، ١٩٠٠م.، والأعلام ٢٣٣/٤
٧٢-نظرات في البيان د / محمد عبد الرحمن الكردي / ٦٨، ط٣، مطبعة السعادة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٧٣-يتيمة الدهر للثعالبي تح/ مفيد قميحة ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، ط دار الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

فهرس الرسائل الجامعة

١- الرثاء في ديوان الشريف الرضي ، دراسة بلاغية – رسالة دكتوراه – الباحثة فاطمة الشحات ، إشراف عبد المجيد هنداوى – طبعة ١٤٣٣هـ – ٢٠١٣م – كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة .

٢- رسالة ماجستير " وصف المعارك الحربية بين أبي تمام والبحتري " دراسة تحليلية موازنة للباحثة إلهام عبد المحسن محمد صلاح ، إشراف د / حمدان عبد الرحيم ، د / حمدي عبد المجيد – ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م – كلية اللغة العربية بأسيوط .

فهرس المجلات

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بني سويف – العدد الثاني – ١٤٣٠هـ ، ٢٠٠٩م – بحث ترقية بعنوان مرثية في وكب الوداع للأمام محمد متولي الشعراوي ، لمحمد رجب البيومي – دراسة بلاغية – د / رمضان محمد عبد الغفار .

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٤٧٧٧
التمهيد: نبذة مختصرة عن الشريف الرضى	٤٧٨٤
نسبه	٤٧٨٤
لقبه	٤٧٨٤
حياته ونشأته	٤٧٨٤
شاعريته وآراء النقاد فيه	٤٧٨٦
آثاره	٤٧٨٩
وفاته	٤٧٩٠
الفصل الأول: مقامات التشبيه بالأسد في الأغراض الشعرية	٤٧٩١
المبحث الأول:خصائص التشبيه بالأسد في مقام المدح والتهنئة والاعتذار	٤٧٩١
المبحث الثاني: خصائص التشبيه بالأسد في مقام الرثاء	٤٨٢٠
المبحث الثالث: خصائص التشبيه بالأسد في مقام الفخر والشكوى	٤٨٣٨
المبحث الرابع: خصائص التشبيه بالأسد في مقام التهديد والذم والهجاء	٤٨٧٤
الفصل الثاني: خصائص التشبيه بالأسد في ديوان الشريف الرضى	٤٨٨٤
المبحث الأول: موازنة بين الشريف الرضى وأبى تمام في التشبيه بالأسد	٤٩٨٤
المبحث الثاني : خصائص التشبيه بالأسد في ديوان الشريف الرضى	٤٩٠٠
الخاتمة	٤٩٢١
فهرس المصادر والمراجع	٤٩٢٥
فهرس الموضوعات	٤٩٣٢